

## الفصل الثانی

### التفكير السليم في عصر العولمة.. ضرورة لازمة

- تمهيد.
- إدارة التفكير السليم.. التحدي الحقيقي للمنهج في عصر العولمة.
- تعليم التفكير السليم كأحد مهام المنهج الأساسية في عصر العولمة.



## تمهيد :

أن تدريس التفكير ليس كجزء من المنهج المدرسي، ليس بالقضية الجديدة، ورغم ذلك، فإنها قائمة ومستمرة. فمن ناحية، هناك الذين يعتقدون في سؤال يجب طرحه، وهو: هل يجب تدريس التفكير في المدارس؟ هذا السؤال غير معقول، لأن التفكير جزء متكامل في كل عملية تعليمية، وليس شيئاً منفصلاً عن النشاطات الإنسانية الأخرى. وجهة النظر هذه، قام بوضعها وعبر عنها «فرانكس ماث» سنة ١٩٩٢، في كتابه المشير «لكي تفكر»، وهناك وجهات نظر بديلة قدمها هؤلاء الذين ناقشوا وقالوا أن التفكير مثل النشاطات النوعية يمكن أن يتم على مستويات مختلفة. وتشير هذه القضية إلى إمكانية تعلم كيف نفكر، وذلك يحمل لنا إيحاءً بأن أنواع محددة من التدريس ربما تحسن أنواع معينة من التفكير، وهذا يوضح لنا وجهة النظر الأخرى لما نعنيه بالضبط عندما نشير إلى التفكير داخل هذا السياق. فلحظة تأمل تجعل من الواضح أن الكلمة لها معاني متعددة ونستطيع أن نفكر منطقيًا، وبطريقة منطقية نستطيع أن نصيغ أحلام يقظتنا، وتذكر ونربط أحداث الماضي بالحاضر، وننظر إلى المستقبل، ونتوقع النتائج لتلك المجموعة من الأفعال، ونستطيع أن نفسر نشاطات الآخرين طبقاً لنظريات تربوية ونفسية.

وفي عالم التعليم خاصة، نستطيع أن نفكر بنقل مجموعة من المهارات، مثل: حل المشكلات. وعليه يجب على كل المدارس أن تسعى إلى أن ترقى وتدعم عملية التفكير، يربط مباشر بين الأسئلة والمنهج الدراسي لكي تكون الأفكار التعليمية متقدمة. ولا يجب أن يتحمل المنهج كل هذا، ولكن يجب أن يمتلك الطلاب قدرات تساعدهم على التفكير والتصرف بطريقة إبداعية وباستقلالية، ولذلك من المهم تقديم ذلك الموضوع تحت عنوان التفكير.

وقد ثارت بعض المناقشات التي انبثقت من النظريات الحديثة، والتي تعكس قضية المنهج، وقد تابعها «فورستن» ١٩٨٠، «دي بونو» من ١٩٧٦ : ١٩٨١. وحديثاً في المملكة المتحدة كرس «بلاك» جل جهده وكل وقته لينشأ برنامجاً، يمكن أن يعمل كموجه يسهم في تنمية مهارات التفكير، وهناك مفاهيم واستراتيجيات صممها لجمان: ١٩٨٠، الذي قال أن الفلسفة هي المفتاح الرئيس الذي يجب أن يكمن في قلب المنهج، وتبعاً لهذا آمن بقوة في منهج التلقين.

ويجب أن تتضمن العملية التعليمية جملاً اجتماعية عن التفكير، لذلك يجب أن تتركز على مفاهيم رئيسية ومهارات ومعرفة في مساحات المنهج المختلفة، كما قال «نسبت»: ١٩٩١. ووجهة النظر هذه مثل نظرياتها التي تنبثق منها، تركز بقوة أقل أو أكثر

على الثقافات المختلفة وعلى الحقب التاريخية المختلفة وعلى أشكال أخرى مختلفة فى النظام التعليمى. فالأفكار التعليمية عن تطوير تفكير الأطفال لها تأثيراً متغيراً أثناء التدريب الفصلى، بهدف تطوير التعليم من أجل نضج عمليات التفكير حتى تتم بطريقة طبيعية. ففى المدارس الابتدائية فإن الخطة المفتوحة فى الفصول، وكذا التعليم القائم على اكتشاف العناصر فى الفصل، يعتبران من أكثر الطرق الملائمة لإقامة مهارات دون أى إعاقات تحول دون تحقيقها. ويقدم «چورم برنر» ١٩٧١ مشروع منهج تربوى متكامل له تأثير كبير على التعليم الابتدائى، وقدم بدائل للمدرسين الذين يريدون أن يصبحوا أكثر نشاطاً فى العملية التفكيرية. أما «روبرت فيشر ١٩٩٧»، فكان تأثيره فعالاً فى المملكة المتحدة فى تطوير مهارات التفكير فى كثير من المدارس الابتدائية، وهو يعتبر أن مهارات العمل تركّز على تعليم نشيط، يقوم على أساس عمل جماعى يسهم فى تطوير منهج يؤكد مهارات التفكير. ومن الواضح أن مناهج المدارس الثانوية تركّز على مهارات كل مادة دراسية على حدة، حتى لا تسيطر مادة على أخرى. فالرياضيات واللغة الانجليزية أصبح لهما القوة بعدما كانت اللغة اللاتينية واليونانية والدراسات الدينية، لها موقع الصدارة فى المنهج. ومن الواضح أن هذا الاتجاه يخصص وقتاً موزعاً لتدريس كل مادة فى المنهج تقريباً طبقاً لخطة محددة، تركّز على معلومات يمكن أن يكون لها شكل واضح. وعلى الرغم من أن المجهودات العظيمة لفلاسفة التعليم، مثل «جون ديوى» فى الولايات المتحدة و«هير» فى المملكة المتحدة، قد ركّزت على أهمية تطوير التفكير المعرفى، فإن هناك توجهاً متزايداً فى كل من البلدين بأن المدارس لم تعد ناجحة فى تخريج شباب يستطيع أن يفكر منطقياً ونقدياً وإبداعياً. ولأننا نتعامل مع هذه القضايا ونواجهها بشدة فى القرن العشرين فإن «تك رسون ١٩٨٨» استنتج من خلال مقابلة مع عدد كبير من دارسى تقييم التعليم الأمريكى أنه من الممكن أن يدرس الطالب ما بين ١٢ إلى ١٣ عاماً تعليمياً دون تطوير كفاءة المتعلم، وذلك يستوجب مراجعة وفحص سياسات المناهج والبرامج بهدف التأكد من إدراج التفكير كهدف رئيس فى تنظيم المنهج. وقد اقترح «دى بونو» أن التعليم من خلال المنهج مزدحم للغاية ولا يعتنى بما يسمى بالتفكير، وذلك بسبب ربكة المنهج، على أساس أن التعليم الثانوى له أهداف أكاديمية بحثة تجعل نصيب التفكير فيه قليل. ونتيجة للمناقشات السابقة، نشأ إهتمام بشأن كيفية مساعدة المدرسين فى إعداد أطفال ليصبحوا مواطنين متعلمين يمكنهم أن يسدوا احتياجاتهم الحالية ومتطلبات المجتمع المستقبلية.

ويقول «شارلز هاندى» عالم النفس: نحن نعيش فى عالم يسير بسرعة متزايدة التغير، ولذلك فإن بعض المعلومات المتاحة التى كنا نعرفها ليست ضرورية حالياً.

وعليه، فإن تدريس المعرفة العامة بات غير مؤثر في إعداد شباب يمكنهم تحدى المستقبل. وهذه المشكلة أصبحت معقدة بسبب عدم مسايرة التغيرات، رغم وجود ثورة معرفية. فالتغير لا يأتي بطريقة محددة محدودة ولكنه يحدث بطرق غير متوقعة وله اتجاهات غير مرئية. وقد انبثق من مؤتمر: «التعليم من أجل التفكير» أو «إنماء التفكير عن طريق التفكير» خمس اتجاهات مهمة، هي:

- الحاجة المتزايدة لعمل مرن قادر على أن يتكرر.

- مهمات إنتاج متزايدة تتطلب تطبيق الذكاء ومعرفة أكثر من مهارة في العمل اليدوي.

- الحاجة لعمال لديهم القدرة على الفهم والتواصل، ليس من خلال عمليات آلية ونمطية، وإنما من خلال ممارسة مهارات مجتمعية محددة تعكس مجموعة من الثقافات المتعددة.

- إن الحاجة المتزايدة لإعداد مواطن يفكر، يمثل تحديات عظيمة الشأن للنظام التعليمي.

- إذا كان هناك تحديات يفرضها النظام التعليمي العالمي، فإن المشكلة القائمة تتمثل في الطرق التي لها تأثير ليكون التفكير قائماً بطريقة مرنة.

فيما تقدم ذكرنا أن «المبمان» و«دي بونو»، قد أوضحا أنه رغم وجود التقنيات والطرق الحديثة في تعلم المناهج، فإن مساحة التفكير في هذه المناهج مازال حظه قليلاً. كان «فورستن» أول من قدم طريقة مناسبة لإثراء التفكير المعرفي، وبالنسبة لـ: «المبمان» أوضح أن تطوير هذه المهارة يتطلب الحاجة لاكتشاف طرق أفضل، أما «بونو» فله برنامج مؤثر لتنفيذ هذا الهدف، حيث يوجد برنامج خاص به، وهناك مناقشات لتعميم هذا الأسلوب بواسطة برامج إثراء للمدرسين. وهناك وجهة نظر أخرى قدمها «جاردنر» الذي أجرى تجارب على سبعة أشكال مختلفة من الذكاء ليصبح الأطفال متجين، فهناك تفكيراً: رياضياً وعلمياً وبدنياً وموسيقياً... إلخ. ومهارات التفكير يجب أن تكون مطبقة من خلال دروس للموسيقى والعلوم والرياضيات، وبهذا لانضيف منهجاً آخر لكي يصبح الأطفال قادرين على التفكير. ومسئولية الأخذ بهذا الاتجاه تعتمد على التدريب في الفصل واعتماد الطالب على نفسه. وهناك أشكال من التفكير فحصت بواسطة كثير من الباحثين، فهذا «نكرسون ١٩٨٨» -على سبيل المثال- يعمل تلخيصاً لما يعتبره سبعة أشكال مهمة للتفكير، هي:

- العمليات الأساسية التي تهتمنا عندما نفكر. فعلى سبيل المثال: عند تدريس العلوم، توجد ثمان عمليات هي: الملاحظة، واستخدام الوقت، والمكان والعلاقة بينه

- والزمان، والإعداد، والقياس، والتصنيف، والاتصال، والتنبؤ. وأضاف «فورستن» برنامج إثراء آخر وهو التنظيم وعمل مقارنة وتحليل البيانات.
- الاتجاه المعرفي المحدود الذي يهتم بدراسة الموضوعات.
  - التفكير المعرفي القائم على السبب، وهذا يعتبر تفكيراً واتجاهاً منطقيًا ومفيداً في مجال التفكير.
  - استخدام أدوات منظمة للمقارنة بين المشكلة وطرق حلها.
  - الاتجاه المعرفي ذو المستوى العالي وهو يعتمد على التحقيق ومعرفة الملامح المميزة للمتعلم الناجح والقدرة على تسيير أمور المنهج طبقاً لاستراتيجية المنهج.
  - في السنوات الأخيرة، هناك وعى متزايد لأهمية المتغيرات المكانية لما لها من تأثير على التفكير، فيجب أن يكون الإنسان مشيراً للتساؤل ولديه الرغبة أن يكون ذو عقل متفتح.
  - النظريات البديلة. فهناك طرق لتنمية وتحسين التفكير، مثل: تأكيد محتوى دون تحليل المنهج<sup>(1)</sup>.

#### أدوات الإثراء :

تقوم نظرية تعديل المنهج المعرفي على أساس أهمية المحتوى الاجتماعي في مرحلة التعليم المعاصر، حيث يتحقق التفاعل الاجتماعي من ناحية الوالدين والمدرسين، وأيضاً على أساس الطريقة التي يتبعها الخبراء لكي يشكلوا الخبرات التعليمية التي تساعد الأطفال ليصبحوا معتمدين على أنفسهم ومتعلمين طبقاً لمفهوم التفكير أو التأمل. وهذه النشاطات والخبرات التي تقدم للمتعلم معروفة بأنها خبرات تعليمية معرفية. أيضاً، هناك نظرية تطوير معرفي لما يسمى بالخريطة المعرفية، حيث توجد سبعة عناصر تمثل النقطة المركزية لأي إنجاز عقلي، وهذه العناصر تشمل مواقف يزود من خلالها المتعلم بمحتوى أية عملية عقلية لها سيطرة على كفاءة الطالب. وتتطلب العمليات المعرفية استمرارية وإنطلاق أية مدخلات ومخرجات من المعلومات التي يتم تخزينها ويعاد صياغتها لكي تنتج حلولاً تتعلق بالمشكلات المعرفية وتبلور أدوات الإثراء في النشاطات حتى يتم تصميمها لتنظيم الأفكار، واللغة، والسلوك. وتتجلى أهمية عمل مقارنات في كونها تؤدي إلى تصنيف التفكير على أساس المصطلح المعروف بـ «التأمل» والتي توظف لتحسين ورفع مستوى الذكاء، كما تؤدي إلى فعالية الأسباب والظروف التي تحيط بالمفكر.

ويوجد اتجاه لتقسيم نتائج أدوات الإثراء، وهو عبارة عن عمل أشكال متاحة لتنفيذ برامج تعليمية طويلة الأمد في منطقة جغرافية محددة، وهذه الطريقة تتمحور في عملية

الجذب والإغراء للمتعلم لكي يتعلم من خلال البيئة من حوله، ولكي يبنى تفكيره على أساس مهاري إبداعي نقدي. وبفحص طبيعة التفكير، نجد الآتي:

المفهوم	الأمثلة	الهدف
مدركات مفاهيم الفهم	الألوان- الأعداد- المقاس- الشكل- الصوت، المكانة- الوقت- المسافة- النسبة- التشابه- الكناية.	لبناء التطابق- كنموذج ثابت في العالم
المهارات والمنتجين	- المسح والتركيز. - تحليل الكل إلى أجزاء. - تحليل المراحل والتسلسلات إلى مهمة. - تركيب الأجزاء بشكل كلي. - إعادة بناء وتجميع. - الوصف والمقارنة. - التجميع والتصنيف. - معرفة الأعداد والعناصر باستخدام العصف الذهني.	لتحقيق المعلومات، ومثال لذلك: التمييز بين المناسب والغير مناسب من المعلومات، عن طريق عديد من المصادر المعرفية، منها: تعريف الأساس المعلوماتي، والوعي بكيفية تنظيم الخبرات.
المعرفة والخبرة	الكود «الشفرة» العالمية- الرموز- اجتماعات، وكمثال: الاجتماعات والمؤتمرات - العمل في مجموعات صغيرة والعمل الفصلي الكلي «الجماعي».	لتقدير المعلومات في عديد من الحالات المختلفة- للمشاركة في وجهات النظر المختلفة لكي نتعلم كيف نعمل بشكل مؤثر مع الآخرين.
أدوات لفظية «فعلية»	المفردات وتكوين «أشكال» اللغة.	لكي نفهم القدرة اللفوية في عديد من التكوينات المختلفة والوظائف والأنواع.

ولقد أصبح التعليم والتدريب بمثابة أنشطة رئيسة في مجتمعنا، لأنهما يمثلان اهتمامات حيوية لكل عائلة أو جماعة، كما أن دورهما رائعا في رخاء وتنمية الاقتصاد القومي، لذلك تكلف الأجهزة والإدارات التربوية المعنية بعمل تخطيط نظام لتنمية وتطوير التعليم والتدريب لصالح الدولة ككل، ولكل الأفراد. وهكذا، فإن التحدي الذي يواجه المسؤولين التربويين في ظل المجتمع الديمقراطي، يتمثل في خلق نظام تعليمي وتربوي يؤكد أن القوى البشرية الكامنة في المجتمع قد تم تنمية تفكيرها على أكمل وجه<sup>(٢)</sup>.

(١) المبادئ التي تتعلق بتصميم المنهج الذي يتمحور حول تعليم التفكير السليم:  
وتتمثل هذه المبادئ في الآتي<sup>(٣)</sup>:

#### تنمية الموارد البشرية:

إن موضوع تنمية التعليم المستمر مدى الحياة في إطار تنمية الكفاءات القومية يجب دمجها بموضوع التنمية البشرية، لذلك يجب إعادة بناء وتنمية البرامج الرسمية في شتى المجالات لتحقيق التعليم الحديث ونظم التدريب.

#### التمحور حول المتعلم:

إن تطوير المناهج والبرامج التعليمية والمواد الدراسية يجب أن تضع جميعها المتعلم في مقدمة إهتماماتها، لبناء فكرياً وقيماً ولتزويده بخبرات حياتية تتوافق مع احتياجاته. وهناك أساليب تعليمية متعددة ومعدلات تعليم قياسية يجب أن يناسب كل منها الموقف التعليمي. كما يجب الأخذ في الاعتبار إدماج الطرق التي من خلالها، تؤثر القيم الثقافية المختلفة وأساليب الحياة على البناء المعرفي في برامج التعليم.

#### التناسب والملائمة:

يجب أن تتناسب برامج التعليم وتتماشى مع التيار المعلوماتي، وأن تتناسب مع احتياجات المستقبل من الأيدي العاملة ومتطلبات المجتمع والتجارة والصناعة. لقد ثبت أن زيادة التنقية الاقتصادية تتوقف بصفة أساسية على مدى تمكن الأفراد المتعلمين جيداً من المهارات والكفاءات المطلوبة لتحقيق النمو الاقتصادي في وقت محدود، وأيضاً تتعلق بالقدرة على التعليم المستمر وتنمية المهارات والكفاءات الحديثة.

#### التكاملية:

يتضمن مدخل التكامل في التعليم والتدريب، نظرة للتعليم ترفض التفرقة بين المعرفة الأكاديمية والتطبيقية، أو وضع حدود فاصلة بين النظرية والممارسة العملية، وتعتبر علاقة المعرفة بالمهارات على نفس مستوى علاقة الرأس والأيدي.

### التنوع وإصلاح أحوال المتعلم وتدعيمه:

يجب أن تسهم عملية التعليم في خلق فرص متساوية لجميع المتعلمين بما فيهم أولئك المعاقين الذين يكافحون من أجل الحصول على فرص تعليمية متكافئة.

ولكن هذا المدخل، رغم ما سبق ذكره، فإنه لا ينكر وجود إختلافات أو فروق فردية بين المتعلمين. كما يتضمن أفكار المستويات القومية، رغم إيمانه بفكرة أن الاختلاف بين اهتمامات وقدرات المتعلمين من شأنها أن تتحدى المعلمين ومسئولي التعليم للعمل بجدية من أجل خلق بدائل تعليمية متعددة ومختلفة.

ومن خصائص هذا المدخل، أن المتعلم يجب أن ينال فرصته، من أجل التغلب على المشكلات والوصول إلى معايير الأداء التي تتماشى مع قدراته الشخصية، وليست معايير الأداء لدى الأغلبية في الفصل.

### فكرة البناء وعدم التمييز:

يجب أن تعمل برامج التدريب والتدريس على تعزيز الهوية القومية وتنمية المعرفة من أجل تحقيق:

- الاحترام المتبادل بين الأديان ونظم القيم المختلفة والتقاليد اللغوية والثقافية المتنوعة.
- التعددية اللغوية ووضع إختيارات تتماشى مع لغة التعليم.
- التعاون والمسئولية الاجتماعية والقدرة على المشاركة في جميع مجالات المجتمع.
- تفهم مطالب التنمية القومية والإقليمية والمحلية.

### التفكير النقدي والإبداعي :

يجب أن تنمي برامج التعليم القدرة على التفكير المنطقي والتحليلي، وأن تنمي في الوقت نفسه التفكير الإبداعي والخيالي. وهذا يتضمن التعريف بالطبيعة المتغيرة والثابتة للمعرفة، كما يشير إلى الحاجة إلى الموازنة بين التفكير الفردي والاستقلالي والمسئولية الاجتماعية والقدرة على العمل كوحدة واحدة مع فريق عمل أو مجموعة أو مجتمع.

### الليونة Flexibility:

على الرغم من أن برامج التعليم المصممة للتدريب والتدريس يجب أن تلتزم بنظام متوازن من المبادئ التي تؤدي إلى تحقيق مستويات الكفاءة المطلوبة، فإن الوسائل المستخدمة للوصول لهذه الأهداف يجب تحديدها بواسطة أصحاب القرار والرأى بما يتناسب مع احتياجات المتعلمين.

## (٢) عملية تطوير وتنمية المنهج الحديث :

### نظرة عامة للعملية :

يجب تنظيم المنهج الحديث على أساس تشاركي بحيث يكون للمعلم وللمدرسي المعلم وللمعلمي المعلم ولمستخدمي المعينات التعليمية وغيرهم من ممارسي التعليم دوراً أساسياً يجب أن يلعبوه جنباً إلى جنب مع الباحثين ومتخصصي المواد الأكاديمية، كما أن هذه العملية تتقبل أى مشاركة أو نقد يمكن إثارتها من قبل أى شخص يهتم بالعملية التعليمية ومخرجاتها.

ومن أجل إنطلاق عملية إعادة تأسيس المنهج، يجب تحديد أسس تنمية السياسة القومية فى وضع المناهج بهدف وضع النظم والتكوينات الأساسية لتأسيس معاهد إقليمية وقومية للتعليم مدى الحياة، كما يجب تحديد إطار منهجى للتعليم العام والتعليم مدى الحياة والتدريب، بهدف بناء المنهج بما يناسب نظم الكفاءات القومية ومخرجاته، وبما يتماشى مع مختلف أوجه التعليم العام والعالى والتدريب العبدى<sup>(٤)</sup>.

### تنظيم المنهج The Organisation of the Curriculum :

#### القرارات الرئيسية Key Decisions :

هناك ثمة إعتبارات يجب أخذها فى الاعتبار مثل : احتياجات المتعلمين بدءاً من الطفولة وحتى البلوغ، وهناك اعتبارات مهمة يجب مراعاتها لتحديد طبيعة بنية المنهج، وهى :

\* ألا تنفصل المدارس الخاصة بالطفولة المبكرة عن باقى المدارس الإلزامية، من حيث البنية المنهجية الموحدة.

\* هناك ثمان مساحات تعليمية يجب الاعتماد عليها فى تشكيل الأساس التعليمى فى كل مراحل التعليم والتدريب، وإن اختلفت فى الشكل، وهذه الأسس هى<sup>(٥)</sup> :

- اللغة والنظرية والمعرفة بالقراءة والكتابة والتواصل.

- الرياضيات النظرية (البحث) والرياضيات العملية (التطبيقية).

- العلوم الإنسانية والاجتماعية.

- العلوم الطبيعية.

- التكنولوجيا.

- الثقافة والفنون.

- الاقتصاد والعلوم الإدارية.

- التكيف مع الحياة.

والحقيقة، إن إدارة وتعليم التفكير من خلال المنهج التربوي، بما يتوافق مع ظروف ومتطلبات عصر العولمة، يمثل معضلة كبرى ومشكلة شائكة، وذلك ما يوضحه الحديث في الموضوعين التاليين:

## أولاً: إدارة التفكير السليم.. التحدي الحقيقي للمنهج في عصر العولمة؛

يقول (هنرى هازليت):

«يعرف كل إنسان أن هناك شروراً في العالم لا بد من العمل على إزالتها، ولدى كل إنسان أفكار واضحة إلى حد ما فيما يتعلق بماهية هذه الشرور... وفي نظري أنا أيضاً هناك شر مثير يفضيني. فأنا أميل في اللحظات التي تجيش فيها عواطفى وإنفعالى إلى أن أنسب إليه كل الشرور الأخرى. هذا الشر هو إهمال التفكير. وعندما أقول التفكير، فإننى أعنى التفكير الحقيقى.. التفكير المستقل.. التفكير الجاد»<sup>(٦)</sup>.

إن مقولة (هازليت) السابقة، تلمس كبد الحقيقة في كل زمان ومكان. إن محاولة إلغاء تفكير الإنسان العاقل، يعنى الحط من آدميته وقيمه وإنسانيته. فإذا وافق الإنسان على ما تقدم، ولم يقاومه، فيمكن نعته بأية صفة، غير أن يكون إنساناً واعياً ومستولاً.

إذا التفكير بالنسبة للإنسان، يعنى الوجود الأدمى الحقيقى له. وعلى الرغم من ذلك، فإننا نوافق على مقولة (أميرسون): «ما أشق عمل فى العالم؟ إنه التفكير»، وذلك من منطلق صعوبة جعل أى تسلسل فى التفكير ممكناً، ما لم يكن لهذا التسلسل ارتباط سابق ومباشر وصريح بالأفكار الموجودة بالفعل فى عقولنا.

والحقيقة، يرتبط تفكير الإنسان ارتباطاً وثيقاً، بمجموعة من العوامل، لعل أهمها: القدرات الذهنية، مستوى الطموح، درجة التعليم، حدود الحرية الممنوحة، المناخ الاجتماعى السائد، الوضع الاقتصادى، النظام السياسى،... إلخ.

وبعامة، لا يستطيع الإنسان العاقل أن يلغى تفكيره، حتى فى أحلك الظروف، أو فى ذروة اليأس، إنما يستخدم تفكيره العقلانى، ليطير على إنفعالاته وشعوره، أو ليضع الحلول الموضوعية للمشكلات الحياتية أو الوظيفية التى تصادفه. ولا نغالى إذا قلنا أن حياة الإنسان الرائعة، ما هى إلا مجموعة من القرارات العاقلة، التى تعتمد على تفكيره بالدرجة الأولى، لذا كلما كان تفكير الإنسان راقياً، زادت تصرفاته المسنولة وأفعاله الصحيحة.

وفى عصرنا هذا، حيث تتشابك العلاقات، وتتقارب المسافات، وتسقط الحواجز، يكون الإنسان العاقل فى أشد الحاجة للتفكير الذى يحميه من مغبة السقوط إلى قاع

الهاوية، والذي يسلمه بما يساعده على مواجهة المحاولات المقصودة لتدميره نفسياً ومعنوياً، وأحياناً مادياً، إن وجدت.

إن التقدير الخاطئ، الذي ينشأ عن التفكير غير الدقيق، قد يقود الإنسان إلى سلسلة متوالية ومتتالية من النتائج الخطيرة، التي تعرضه للمساءلة: الاجتماعية أو السياسية أو الوظيفية أو الأسرية. . إلخ، فيؤدي ذلك إلى معاناة الإنسان جسمانياً ونفسياً وعصبياً وعاطفياً ووجدانياً. . إلخ، كما يؤدي إلى اهتزاز صورته الاجتماعية أو وضعه الوظيفي أو مركزه المالي. . إلخ.

خلاصة القول، تعتمد حياة الإنسان السعيدة الهانئة المنظمة بدرجة كبيرة على طريقة إدارة تفكيره، لذا فإن حياة الإنسان وتفكيره يتلازمان من المهد إلى اللحد، من خلال علاقة إرتباط طردية موجبة.

تأسيساً على ما تقدم، فإن الحديث التالي يوجه جل اهتمامه نحو دراسة إدارة التفكير السليم كتحدى حقيقي للمناهج التربوية، من خلال التطرق للموضوعات التالية:

- المقصود بالتفكير.
- التفكير في مواجهة مشكلات الحاضر من وجهة نظر تربوية.
- إدارة التفكير السليم لمواجهة تحديات العصر.
- دور المنهج في إدارة التفكير السليم في عصر العولمة.

وفيما يلي توضيح تفصيلي للموضوعات السابقة.

#### (١) المقصود بالتفكير :

يعد التفكير الإنساني عاملاً أساسياً في توجيه الحياة، وعنصراً جوهرياً في تقدم الحضارة لخير البشرية، ووسيلة رئيسة لفهم المستجدات المحلية والعالمية، وللتعامل مع المستجدات بكفاءة وفاعلية.

في ضوء ما تقدم، يمكن القول بأن «التفكير هو ما يحدث في الفاصل الزمني بين أن يرى المرء شيئاً ما، وأن يهتدى إلى ما سيفعله تجاهه. وخلال هذا الفاصل تتابع الأفكار، في محاولة لتحويل موقف جديد وغريب إلى موقف مألوف اعتدنا على التعامل معه. وفيما بعد يتعلم المرء هواية اللعب بالأفكار من قبيل التسلية. ولكن الهدف البيولوجي من التفكير، هو تمكن الكائن الحي من الاقتراب مما يفيد بقاءه والابتعاد عن المخاطر. إذن، التفكير في النهاية، هو أن يعرف الكائن المفكر ما عليه عمله: هل يقرب طمعاً أم يهرب خوفاً؟» (٧).

ويعامة، فإن إلمام الإنسان بقدر من المعرفة، التي تساعده على التصرف السليم في المواقف الحياتية والمسائل العلمية والمشكلات الوظيفية.. إلخ، يتوقف على العمليات التالية (٨):

(أ) الغريزة، وهي رد فعل فطري يحدد تلقائياً التصرف المناسب في الموقف القائم، وهو رد فعل تمليه تركيبة الكائن، وهو مباشر وثابت وتلقائي، وهو إستجابة لموقف بعينه.  
(ب) التعلم، ويمكن أن نميز بين نمطين من أنماط التعلم، وهما:

\* التعلم بالاحتكاك المباشر، ويكون بمثابة عملية بطيئة من التلمس والمحاولة والخطأ تهتدى بها الكائنات الحية إلى ردود الأفعال المناسبة. وفي هذه الحالة، يتضمن التعلم رد الفعل تجاه موقف محدد، ثم ملاحظة ما يحدث، الذي قد يكون ملائماً ومفيداً أو غير ملائم وعديم الجدوى. ومن خلال الاحتكاك المباشر، يتعلم المرء ردود الأفعال، التي توفر له المتعة وتبعده عن الألم. وبعد أن يتشكل رد الفعل، فإنه يتكرر في المواقف المتشابهة، ويصبح هذا الأسلوب المكتسب مماثلاً للاستجابة الغريزية.

\* التعلم بالتلقين والمحاكاة، وهذا نوع من الغريزة الاصطناعية، فهو يتضمن تحقيق ردود أفعال فورية لمواقف جديدة، دون التورط في المحاولة والخطأ. وتستمد هذه الخبرة من الكتب والتلفزيون والمدرسة والوالدين والأفراد الآخرين الذين يتعامل معهم الإنسان.

وتعد ردود الفعل الناجمة عن التعلم، الذي يتحقق بطريقة مباشرة أم غير مباشرة، تصرفات ثلاثم مواقف محددة ومألوفة، ومعتادة بالنسبة للإنسان.

(ج) الفهم، وهو تحويل موقف غير مألوف إلى موقف معتاد، يستطيع الإنسان أن يتصرف فيه. وتم هذه العملية في العقل، حيث ينتقل الإنسان من فكرة إلى أخرى، حتي ينتهي الفرد إلى رؤية الموقف المستجد شبيهاً بموقف سابق، أو متوافقاً مع مواقف أخرى معتادة. وهذا الانتقال من فكرة لأخرى هو التفكير، أي أن الفهم هو التفكير.

ويرى (برونل) «أن فهم مبدأ ما يعني أن الفرد يعرف كيف ومتى يستطيع استخدامه»<sup>(٩)</sup>، ويتوافق ذلك مع ما ذهب إليه (سيترور) في تعريفه للفهم على أنه «إدراك للعلاقات»<sup>(١٠)</sup>، لذا، فإن فهم الإنسان للأمور، يساعده على الربط بين دقائقها، وكذا السيطرة على مجريات الأحداث التي تدور من حوله، ولها علاقة مباشرة أو غير مباشرة، بتلك الأمور.

وجدير بالذكر أن الفهم يعنى من الناحية السيكلوجية: إدراك العلاقات القائمة فى موقف يجابه الفرد، وإدراك ذلك الموقف ككل مترابط. ومن الناحية العملية، يعنى الفهم: التكيف الناجح لموقف يجابه الفرد، وهذا التكيف الناجح لا يأتى إلا نتيجة لفهم العلاقات القائمة فى الموقف، وتمييز العناصر الأساسية فيه.

ويلعب الفهم الدور الأول فى كل خطوة من خطوات الإدراك لمعنى ما يعمله الإنسان، والسبب فيه، وذلك وفقاً لنظرية المعنى، والتي تهتم أيضاً بممارسة الإنسان للفرص، التى عن طريقها يكتشف أو يعيد الفرد بناء المعارف والمعلومات بنفسه. وأيضاً، عن طريق الفهم يتمكن الإنسان من مضاعفة معارفه، حيث يقوم بتحويل بعض المواقف الجديدة إلى مواقف معتادة.

وإذا عدنا مرة أخرى لمحاولة تحديد تعريف دقيق لمصطلح التفكير، نقول أنه: نشاط عقلى واع، يسعى لحل مشكلة أو عقدة أو موقف غامض أو إيجاد وسيلة تخفف من متاعب الحياة. والتفكير يعد أرض العمليات التى يقوم بها العقل البشرى، لإدراك الحياة والعلاقة بين الأشياء، وبحث الظواهر المنظورة وغير المنظورة والمدركة وغير المدركة، بما يحيط بالإنسان فى عالمه، والعجيب أن الفكر يعيش فى أعماق ذاتنا، يحركها وقد يزلزلها، ومع هذا فليس له أدنى قياس بالحساب الكيمائى...

إذاً فالتفكير يبدأ أولاً، بالإدراك الحسى الخارجى ثم الإدراك العقلى الداخلى والربط بينهما فى مرحلة الطفولة، ثم يتدرج العقل فى الظهور عندما ينمو الطفل ويشتد ويستمد مقوماته من العالم الخارجى بواسطة الإدراك. وبعد ذلك يبدأ العقل فى استخدام عملية داخلية مختلفة توصف بالتفكير، ويرتبط التفكير فى غالب الأحيان بصورة حسية مدركة فى العقل، وكلما نضج التفكير كلما قلت الصور الحسية، فهناك عقول يغلب فيها الأفكار المحددة، وفى نفس الوقت لا تخل من الأفكار الحسية، فكلاهما مرتبطان<sup>(١١)</sup>.

فى ضوء ما سبق ذكره، فإن :

- التفكير يعنى الاستنتاج من الوقائع أو المقدمات.
- عملية التفكير هى عملية حل مشكلة، لذا فإن الفرصة الملائمة للتفكير هى دائماً هدف صعب التحقيق، وخاصة أن التفكير نفسه ينشأ من الغايات التى تكتنفها الصعاب.
- التفكير عملية تنفرد بها الكائنات ذات الذكاء المرتفع أو المحدود على السواء، مع مراعاة أن الأبله أو المعتوه لا يفكران.
- التفكير يحتاج فى جميع الحالات إلى هدف، مهما يكن غامضاً. وأحسن نوع من التفكير بحاجة أيضاً إلى هدف محدد. وكلما كان الهدف أكثر تحديداً، كان تفكيرنا أكثر وضوحاً.

تأسيساً على ما تقدم، يمكن تحديد أهم الأساسيات التي تقوم عليها عملية التفكير، في الآتي:

- لا يمكن التفكير في ضوء «مبادئ عامة».
- ينبغي التمييز بين ما هو قائم وما يجب أن يكون، عند التفكير.
- إلقاء الضوء على المشكلة التي هي في الذهن، وعرضها بأكثر قدر من التحديد.
- المشكلة التي تعرض بطريقة جيدة هي مشكلة تم التوصل إلى حلها جزئياً.
- تحديد طبيعة المشكلة في ضوء معيار الاستحقاق (البرجماتية).
- يتطلب التفكير المنظم تحقيق التصنيف، الذي هو بمثابة عملية تجميع الأشياء في ضوء صفات مشتركة.

(٢) التفكير في مواجهة مشكلات الحاضر من وجهة نظر تربوية:

يقول (جبران خليل جبران) في كتابه «المواصف»: ١٩٢٠:

«بالاختصار فالشرقيون يعيشون في مسارح الماضي الغابر ويميلون إلى الأمور السلبية المسلية المفككة ويكرهون المبادئ والتعاليم الإيجابية المجردة التي تلسعهم وتنبههم من رقادهم العميق المغمور بالأحلام الهادئة».

ما تقدم، جزء من خاتمة كتاب (طارق حجي)، الذي عنوانه «نقد العقل العربي». حيث كانت خاتمة الكتاب تحت عنوان: «الحن ختامي من جبران». والحقيقة، لقد لخص (حجي) بروعة وذكاء عيوب تفكيرنا المعاصر، في الآتي (١٢):

- تقليص الساحة في تفكيرنا المعاصر.
- المغالاة في مدح الذات.
- ثقافة الكلام الكبير، بدلا من العمل الكثيف.
- تهميش الموضوعية في حياتنا وقراراتنا.
- موقفنا من الآخرين: «معنا».. أم «ضدنا».
- الاعتزاز بآرائنا، ومساسها فيه مساس لكرامتنا وكبرياتنا، على أساس أنها جزء لا يتجزأ من ذاتيتنا وشخصيتنا الإنسانية.
- الإقامة في الماضي، والحديث بحياء عن الحاضر، والتطلع إلى المستقبل رجم من الغيب المرفوض.
- ضيق الصدر بالنقد.

- الاعتقاد المطلق في نظرية المؤامرة، وبخاصة من الذين لا يتفقون معنا في الرأي، أو يختلفون معنا في النهجية.
- التيه الثقافى، والتعصب ضد الثقافات الأخرى، عن غير علم.
- ثقافة الموظفين، التى تقوم على البيروقراطية، فى تنفيذ التعليمات والأوامر.
- تمجيد الفرد المسئول عن أى موقع من المواقع.
- الفشل فى خلق معادلة متوازنة بين (المحلية) و(العالمية)، وذلك جعلنا محلين للنخاع.

ويجدر التنويه إلى أن الفرد الواحد، قد لا يمتلك جميع العيوب السابقة، وإلا أصبح هذا الفرد نفسه، كارثة حقيقية. أيضاً، فإن العيوب السابقة، ليست بالضرورة أن تكون السمة الغالبة بين جميع الناس، ولكنها عيوب متفشية وموجودة عند بعض الناس، من المتعلمين وأنصاف المثقفين، وذلك يمثل مشكلة قائمة. وهنا، يكون من المهم طرح السؤال التالى:

**أين دور التعليم فى إكساب التفكير الذى يسهم فى حل المشكلات المعاصرة آنفة الذكر؟**

للإجابة عن السؤال السابق، نقول:

إن المعلومات والتفكير ليسا بالشيئين المتضادين، وإنما هما متلازمان ومتكاملان. فالتفكير يعيد تشكيل المعلومات، وتستدعى المعلومات التفكير، وبذا فإن المعلومات ليست البديل عن التفكير، مثلما هو الحال والاعتقاد فى التعليم النمطى التقليدى. وفى ظل التوجهات التربوية الحديثة، ينبغى توفير الوقت الكافى، ليمارس المتعلم التفكير، الذى يساعده على تشكيل المعلومات، بالأسلوب الذى يجعل المعلومات قابلة للنقل للعالم الخارجى.

ولكن القضية الصعبة، لا تتمثل فى نقل المعلومة فى الوقت الحاضر، ولكنها تتمثل فى استمرارية الاستفادة من هذا النقل فى المستقبل. لذا، بات من المهم والضرورى، توجيه إهتمام كبير إلى الأدوات العقلية، التى تكون لازمة للمتعلم فى المستقبل، وذلك ما يحققه التفكير السليم، لإمكان استخدامه بأساليب مختلفة فى أى وقت أو موقف. كما، يكون التفكير السليم مهما عند التعامل مع المفاهيم ذات القابلية عالية التعميم، ومع المواقف المرتبطة بالمسئولية المدنية، وبحل المشكلات والتأمل، وبالتوجيه الذاتى والدافعية المطلوبة للتعلم مدى الحياة.

وتتمثل عناصر إدارة التفكير السليم التي يجب تشجيعها وإكسابها للتلاميذ، في: التقصي، وتعلم التنظيم الذاتي، والمشاركة والتجريب، وفيما وراء المعرفة، والعلاقة وثيقة الصلة بين المادة الدراسية وحياة التلميذ نفسه.

ويمكن للتلاميذ اكتساب مهارات إدارة التفكير السليم، عن طريق التفاعل مع البيئة، والوسائل الإعلامية، والمواد الدراسية، والزملاء الآخرين. ومن المحتمل، أن يتم كسب مهارات أكثر لإدارة التفكير السليم، إذا تم بناء وتصميم مناهج دراسية بعينها لتحقيق هذا الغرض.

ولضمان تحقيق وإكساب مهارات إدارة التفكير السليم في الخبرات التدريسية التعليمية، يجب أن يحدد المعلم الأساليب المناسبة لجعل التلاميذ يركزون تفكيرهم، بحيث يصبحون على دراية بالمعلومات الجديدة، ويسترجعون وينظمون المعلومات، ويحللون ويقدمون أفكاراً متطورة، ويلخصون، ويقومون بتقييم أعمالهم وأعمال غيرهم، وغير ذلك من الأعمال التي تتطلب التأمل والمشاركة والعمل.

ويمكن للمعلم مساعدة التلاميذ على تفهم طبيعة المادة، وعلى البحث في فهم كيفية التفكير (إدراك ما وراء المعرفة)، علماً بأن تحقيق ذلك يتوقف بدرجة كبيرة على اتجاهات التلاميذ، ونوعية المقررات الدراسية، والمعرفة الذاتية والقدرة على العمل مع الآخرين. ويجب أن يدرك التلاميذ أن تعلم المواد الدراسية ذاتها، يمكن التوصل إليه عن طريق التقارير الوصفية، وبطرق منطقية وتحليلية وكمية، وباستخدام الأساليب والتعبيرات الفنية (الفن، الموسيقى، الرسم، .. إلخ).

والتفكير السليم وتعبيراته يمكن أن يأخذ العديد من الأشكال، وذلك يجعل التلاميذ يعملون مع الوسائط والمقررات، ليتلمسوا وضع الحلول المناسبة للمسائل أو المشكلات، التي يمكن أن تكون غامضة المعنى أو غنية بالتحليل. ويمكن إتباع الخطوات التالية كنموذج للتدريس، يمكن إتباعه في دراسة أية مسألة أو مشكلة:

- تحليل أبعاد المسألة أو المشكلة، لتحديد أبعادها.
- استكشاف الجوانب المعرفية والخبرات التعليمية السابقة، ذات العلاقة بموضوع المسألة أو المشكلة.
- طرح أسئلة جديدة مشوقة لإثارة الدافعية لدراسة المسألة أو المشكلة.
- مقارنة الجوانب المختلفة للمسألة أو المشكلة، بنظيراتها في المسائل أو المشكلات المشابهة، كذا محاولة الربط بين تلك الجوانب بعضها البعض، للوصول للحل الأنسب للمسألة أو المشكلة.

- استخدام التفكير الانعكاسي، الذي يبدأ بالحل وينتهي بالمعطيات، للتأكد من صحة حل المسألة أو المشكلة، الذي تم تحقيقه.

- تعميم النتائج التي تم التوصل إليها على التلاميذ<sup>(١٣)</sup>.

(٣) إدارة التفكير السليم لمواجهة تحديات العصر:

تعود القوة الدافعة للتغيرات المتلاحقة في شتى المجالات، إلى متغيرات العلم والتكنولوجيا اللذين يعتمدان بدورهما على التفكير، الذي يمثل أساس تحقيق هذه التغيرات. ولما كان التفكير بمثابة الوسيلة للفهم والتحليل والحل والتنبؤ، لذا فإن كفاءة عمليات التفكير ترتبط بفعل وتأثير ثلاثة تكنولوجيات، هي: تكنولوجيا الكمبيوتر، تكنولوجيا المعلومات، تكنولوجيا الإدارة. لقد أسهمت هذه التكنولوجيات في تعظيم دقة التفكير وسرعته، وممارسته بأقصى كفاءة ممكنة، واستخدامه الاستخدام الأمثل في شئون الحياة اليومية الحياتية والعملية والوظيفية. إلخ.

ولمساعدة الإنسان على ممارسة التفكير السليم، في زمن تطورت فيه إمكانيات التفكير وتطبيقاته، بشكل خيالي، يجب إزالة عقبة السلطة والتسلط، التي قد تكون في صورة: البيروقراطية، أو المدير الإداري أو التنفيذي، الرجل على المرأة، التعليم المتقرب النمطي، المعلم على المتعلم، الوسط والمنفعة الخاصة، إلخ، إذ من الصعب جداً ممارسة التفكير، في ظل نظام يحد من حرية الإنسان، ويقيد إرادته، فلا يستطيع إطلاق طاقاته الكامنة وخياله الثواب.

وبعامة، فإن المهارة الفنية أو الممارسة العلمية للتفكير، قد يكوننا سبيل الإنسان للإبداع والابتكار، مع مراعاة أنهما يتطوران بصفة مستمرة، مع تنامي العلم واكتشافاته، وأنهما يجددان إستيعابات العقل البشري وخياله، في الوقت ذاته.

وعندما يفقد الإنسان المقومات التي تساعده على إدارة التفكير العقلاني والموضوعي، تتسم سلوكياته بالقصور الشديد. وهنا تحدث الطامة الكبرى، إذ أن «السلوكيات القاصرة، تؤدي إلى مواقف متصادمة، تحول أصحابها إلى متعصبين، تنبع دوائر فكرهم الضيق من خلال الجماعات والشلل، التي يستأثر أعضاؤها بتبادل المنافع على حساب المصلحة العامة، فتتفاقم العداءات والمهاترات، وتتعدد الأمور وتذهب إلى اللاعودة»<sup>(١٤)</sup>.

وجدير بالذكر، أن التفكير ليس سمة تميز العباقرة أو العلماء أو الموسوعيين من الناس، دون غيرهم. فالتناس العاديين أيضاً، يمكن الركون إليهم في تسيير وإدارة العديد من الأعمال، شأنهم في ذلك، شأن العباقرة أو العلماء أو الموسوعيين. والحقيقة، أنه

في ظل ملامح الإدارة كأيديولوجية، يمكن النظر إلى «الاستثمار المعرفي واستخدام القدرات الذهنية للإنسان المتوسط، كمصدر غير محدود للابتكار والإبداع المؤسسي والتقدم المجتمعي»<sup>(١٥)</sup>.

وعندما نتحدث عن تحديات العصر، يقتصر حديثنا على الآتي:

#### (أ) المعرفة :

في عصر الإنترنت، أصبح من السهل جداً الحصول على المعرفة، ورغم هذا فإن هذه المعرفة قد تكون من أسباب تدمير مستقبل الإنسان نفسه، بسبب المعلومات المغلوطة عن عمد وقصد، التي قد تحملها رسائل البريد الإلكتروني بين ثناياها، وذلك يمثل تحدياً حقيقياً للإنسان، وخاصة إذا كان لا يملك آليات التفكير الحقيقية التي عن طريقها يمكنه الفصل بين الصحيح والخطأ في شتى جوانب المعرفة.

أيضاً، يمثل إنتاج المعرفة *The Production of Knowledge* تحدياً للإنسان الذي يفتقد أركان التفكير السليم، إذ أن تحقيق هذا الإنتاج «يحتاج فترات طويلة من التدريب على استخدام وتطبيق أساليب متخصصة في الملاحظة والتفسير، وأن معظم منتجي المعرفة أو الباحثين، يتصورون أنه يتعذر على شخص واحد أن تتوافر لديه الموضوعية التامة، بما يدفع إلى تعدد الملاحظين لشيء واحد، وأيضاً يعتقد كثير من الباحثين أن بالإمكان التعرف على ما هو غير حقيقي بالتأكيد، حيث تتطلب التفسيرات تأكيدات»<sup>(١٦)</sup>. ولكن قلما تتحقق التأكيدات التي تتطلبها التفسيرات، وذلك لأن العاملين في مجال العلم يتصرفون وكأنهم يقدمون معرفة أكيدة، كما أنهم يلبسون «عباراتهم رداء الموضوعية، مثل الاستخدام المتعمد للمصطلحات الفنية والتحليلات المعقدة، والاعتماد على الخبراء لإحداث التأكيد الزائد»<sup>(١٧)</sup>.

أيضاً عندما يفتقر الإنسان للتفكير السليم، يجد نفسه واقفاً في مكانه حائراً عندما يحاول البحث في ذاتية المعرفة العلمية، التي يمكن أن تتم بأشكال مختلفة، إذ يفشل -مثلاً- في إدراك أن «تطور المعرفة العلمية كترج استدلالي تكمن في أساسه حقائق مسبقة واضحة بذاتها، الأمر المميز للعقلانية الكلاسيكية لـ (ديكارت ولايبنتز)، والمفهوم الاستدلالي التجريبي العائد إلى (بيكون) الذي يصور المعرفة العلمية كمقارنة وتعميم للحقائق الجزئية للتجربة، وقبلية (كانط) وصيغة (هيجل) للتطور الذاتي للمفهوم، ومفهوم (التجريبية المنطقية) في القرن العشرين»<sup>(١٨)</sup>.

أيضاً، قد يفشل الإنسان، إذا لم تسعفه قدراته الذهنية، في وضع حدود فاصلة بين ما سبق ذكره، وبين الإتجاه الذي يرى أن المعرفة العلمية تقوم على مبادئ النظرية المادية

الديالكتيكية، والتي يروج أنصارها: «أن كل معرفة هي نتيجة لصنف معين من النشاط المعرفي، وأن المعرفة كإنعكاس للحقيقة الموضوعية -حتي وإن كان بعيد الجزر عن التناول التأملي للمعرفة- فإن مغزاه المادى لا يعارض النشاط المعرفى الإبداعي الإنشائي»<sup>(١٩)</sup>.

وأخيراً، فإن مبدأ المعرفة للجميع، الذي يهدف إمام الناس على جميع مستوياتهم الثقافية والتعليمية «بالنظريات العلمية الحديثة والمنهج العلمى، ليس من باب العلم بالشئ فقط، وإنما أيضاً لمعرفة تأثير تطبيق هذه النظريات فى حياة الجمهور، وهو تأثير قد يكون ضاراً أو نافعاً»<sup>(٢٠)</sup>، لن يتحقق أبداً مع الأفراد ذوى التفكير البسيط أو الأحادى، وذلك بعد أن تعددت وتشابكت ضروب المعرفة المختلفة.

#### (ب) التكنولوجيا :

فى عصر العولمة، أصبحت قضية التكنولوجيا -فى الدول النامية- من تحديات العصر الخطيرة، بسبب الإشكاليات التالية :

- \* صعوبة إنتاج التكنولوجيا المتقدمة، بسبب عدم بناء قاعدة تكنولوجية متطورة.
- \* التبعية التكنولوجية، مع ارتفاع تكلفة نقل التكنولوجيا من الدول المصدرة لها.
- \* صعوبة الحصول على تكنولوجيا متقدمة، يمكن إستخدامها فى بناء قاعدة تكنولوجية، لرفض الدول الصناعية حصول الدول النامية على التكنولوجيا المتطورة.
- \* عدم توافر الكوادر القادرة على تصنيع التكنولوجيا المتقدمة، كذا عدم توافر الكفاءات التى تستطيع إيجاد توظيفات جديدة للتكنولوجيا المتوافرة.
- \* هجرة الكوادر التكنولوجية الواعدة إلى الخارج، بسبب عدم توافر الإمكانيات المهمة التى تساعدهم على العمل المنتج.

#### (ج) الثقافة :

فى عصر المعلوماتية، أصبح من الصعب تحقيق إستراتيجية ثقافية موحدة للتراثين: القومى والعالمى، وبالتالي بات من المتوقع حدوث تصادم بين الثقافات، بدلا من تلاقى الحضارات، وذلك ما تأكده:

- \* النظرة الممعة للقيمة الفعلية للعنصر البشرى، تظهر أن البون شاسع بيننا وبين الآخرين فى الدول الديمقراطية المتقدمة، من حيث إحترام حرية الإنسان وأدميته، ومن حيث إتاحة الفرص المناسبة للإنسان للتفكير المبدع، ومن حيث توفير الحوافز المادية والأجور المعقولة للإنسان.

• النظرة المدققة لمدى توافر العنصر المادى، تبرز عدم وجود خريطة محددة المعالم لمداخلات ومخرجات العوامل المادية، لذا يكون من الصعب تحديد أنسب الطرق والأساليب للتعامل مع هذه العوامل، وقد يصل الأمر إلى عدم فهم أبعادها أو تحديد هويتها وكيونتها.

• النظرة الفاحصة لمصادر البيانات، تدل على عدم وجود قاعدة دقيقة للمعلومات، لذا يكون من الصعب جداً الحصول على الإحصاءات المفيدة فى التخطيط لآى عمل استثمارى.

• النظرة التقويمية لتقييم المشروعات، تثبت أن التعامل مع أى مشروع يتم بالقطعة، وليس وفق تخطيط منظومى شامل لهذا المشروع من بدايته حتى نهايته، كما تثبت أن التخطيط لآى مشروع، يتم بمعزل عن بقية المشروعات.

إن التحديات السابقة، ليست فى الحقيقة سوى رد فعل لفعل النظام العالمى الجديد، حيث تحترك دول الشمال الغنية العلم والتكنولوجيا، وتحاول أن تحقق مصالحها السياسية والاقتصادية والسياسية والثقافية. إلخ، على حساب دول الجنوب الفقيرة.

وفما يختص بنصيب الدول العربية من الأزمات آنفة الذكر، فإن من أخطر الأزمات التى تواجه العالم العربى هى أزمة الثقافة العربية، والأزمة الثقافية العربية متعددة الجوانب، فهى أزمة شرعية وأزمة عقلانية فى نفس الوقت، وهذه الأخيرة هى التى أوصلت النظام العربى إلى حالة بارزة من حالات العجز الاقتصادى والضعف السياسى<sup>(٢١)</sup>.

إن الحديث السابق يبرز الدور المهم للتعليم فى مواجهة التحديات التى سبق التنويه إليها، لذا يجب أن يسهم التعليم فى إعداد العقول القادرة الواعدة على التفكير العقلانى المسئول، الذى عن طريقه يمكن مقابلة التحديات السابقة. وفى هذا الصدد، يقول (كوندراشوف) : «إن الجهل هو قوة شيطانية... وتتضاعف القوة الشيطانية إذا ما دخلت فى تحالف مع المسلمات الجامدة التى تدخل قوانين التنمية بالنسبة لها فى مجموعة مختارة من الحقائق التى تقررت إلى الأبد مريحة لكسالى العقول أو اللصولين. إن النظرة التى تغلب عليها الصيغة الأيديولوجية للعالم لا تكون مقبولة إلا فى حالة عدم تحريف الصورة الحقيقية للعالم»<sup>(٢٢)</sup>.

كما يؤكد الحديث السابق قوة التفكير وأهميته فى مواجهة تخلف الجهل مع المسلمات الجامدة، كما يشير إلى أن الحقائق الثابتة تكون مريحة للوصلين، الذين استطاعوا توظيفها وإستغلالها لصالحهم، وتكون مريحة أيضاً لكسالى العقول، الذين لا يفكرون، ويعطون عقولهم أجازة طويلة، أو يحفظون عقولهم باردة جامدة، يجعلها فى حالة إسترخاء دائم.

والحقيقة التي لا تحتمل الشك أو التأويل، إن أصحاب العقول القوية، لا يقبلون أبداً أخذ الأمور على علاتها، وإنما يقبلونها على جميع وجوهها، لعلهم يكتشفون فيها جديداً، أو يصلون عن طريقها إلى الجديد. أيضاً، فإن أصحاب العقول الوثابة إلى الأمام، يرفضون تحريف الصورة الحقيقية للعالم، لذا فإنهم -عن طريق تفكيرهم- يمتلكون صهوة الجواد الإلكتروني لثورة العلم والتكنولوجيا، ويضعون الأمور في نصابها الصحيح.

وغالباً، لا يخطئ أصحاب العقول القادرة على التفكير السليم، في حساباتهم، لأنهم من خلال تفكيرهم، يستطيعون معرفة الكثير من الحقائق الأساسية الدقيقة، كما يفهمون أبعاد وإتجاهات التطور الكوني والعلمي والاجتماعي والاقتصادي والسياسي... إلخ، إلى أين يسير، وبذا لن تصدمهم أبداً التغيرات والتغيرات التي يمكن حدوثها في أي مجال، نتيجة لذلك التطور، لأنهم في الأصل مستعدون للمقابلة والمواجهة مع أية ظروف جديدة يفرضها العصر.

#### (٤) دور المنهج في إدارة التفكير السليم لمواجهة تحديات العصر:

إن القدرة على التفكير السليم، وتحكيم العقل من أجل إصدار أحكام موضوعية، وعلى تخيل إيجاد الحلول للمشاكل المطروحة أو التي تصادف الأفراد أو المجتمعات، كذا الإنتقاء من بين البدائل والخيارات، وتفحص جوانبها المختلفة والمقارنة بينها، تمثل جميعها مصادر القوة التي كان يتمتع بها الجنس البشري وما زال.

فعلى سبيل المثال، توجه عملية الإختراع نحو تأمين مصالح الجنس البشري وتقدمه وإيجاد الحلول المناسبة لمشكلاته المهمة. أيضاً، أسهم التقدم العلمي في خدمة الطب والمواصلات والنقل، وغير ذلك من المسائل الحيوية المهمة في حياة الإنسان. كذلك استطاع المبرزون والعباقرة من الأفراد باستخدام مواهبهم العقلية الخارقة من حسم عدد لا يستهان به من المشكلات التي عانى منها الإنسان.

إن مدارسنا قلما توجه إهتماماً يذكر نحو تطوير المهارات السابقة، التي تزداد أهميتها في مجتمعنا الشديد التعقيد والدائب التغيير. وبعمامة، يجب إعطاء الأولوية في العمل التربوي الآن لما يساعد الطلاب على فهم مشكلات الحاضر والمستقبل. ويمكن تحقيق ما تقدم عن طريق مادة مثل مادة التاريخ التي يجب التمهيد لها بدراسة جادة لواقعنا الحالي، بالإضافة إلى ما يمكن التكهّن به من مواصفات وتفاصيل خاصة بأحداث المستقبل، وبذا تصبح دراسة الماضي قادرة على تحقيق تفهم أعمق للظروف التي إنبثقت منها مشكلات العصر الحاضر، وعلى تزويد الدارسين بنماذج من التجارب التاريخية التي

تمكنهم من إيجاد حلول أفضل للمشكلات المعاصرة. إن ذلك يجعل دراسة التاريخ فرصة سانحة نابضة في الحياة، تفيد في تحقيق تأثير مستمر على كل من الحاضر والمستقبل. ويمكن أيضاً تطوير مهارات التفكير والابتكار من خلال إستحضار المشكلات وعرضها، فدراسة القضايا التاريخية والقضايا المعاصرة في آن واحد، يمكن أن تقدم لنا أساساً تبنى عليه دراسة بعض «الحالات الخاصة»، مما يساعد بالتالي في تركيز أذهان الطلاب على دراسة المسائل المهمة، وتطوير قدراتهم على إتخاذ القرارات إزاء هذه المسائل ذات الإهتمام الفردى والجمعى على حد سواء.

إن الإكثار من إستعمال الأحاجى والألفاظ، وحل المشكلات، وتنمية التفكير الخلاق، يمكن أن يسهم في تطوير مثل هذه المهارات.

لقد أصبحت المهارات ذات العلاقة بالتفكير، وحل المشكلات، وإتخاذ القرارات، مهمة جداً في حياة الطلاب، إذ تساعدهم في تعاملهم مع مشكلات الحاضر والمستقبل. فمثلاً، التفكير بلغة العلاقات بين الأشياء، يساعدنا على إدراك الروابط بين الأحداث المختلفة، ويُمكننا من ممارسة عمليات ذهنية معقدة من خلالها نستطيع أن نكتشف كيف تأثر أحداثاً بعينها في حياة الناس بطرق وبتأثيرات مختلفة متباينة. ويساعد مثل هذا المدخل لدراسة «التفكير المركب» في التعامل مع تعقيدات العصر الحالى، وبذا يتمكن الطلاب من تفحص البدائل والتسائج، وإبتداع الأفكار البارة، والإفادة من مهارة إتخاذ القرارات في عملية الإختيار من بين البدائل المطروحة، كما يساعد ذلك المدخل الطلاب في تعليمهم الطرائق المختلفة لإستعمال خيالهم في حل المشكلات الصعبة بأساليب حديثة مبتكرة.

والحقيقة، إن ما سبق لهو قليل من كثير من المهارات التى يمكن إكسابها للطلاب إذا ما ركزنا إهتمامنا نحو تعويدهم وتعليمهم عمليات إدارة التفكير السليم، التى تسهم بدورها في إكساب الطلاب أنسب طرائق وأساليب حل المشكلات، واتخاذ القرارات، بشرط أن يستمر التدريب على إكتساب هذه المهارات بشكل منتظم، وخلال فترة كافية مناسبة، وبتتابع أساليب متنوعة.

أيضاً في عالمنا المتغير لا بد من توخى الحرص والدقة عند إتخاذ أى قرار، لأن القرار الخاطىء ستكون له آثاره السلبية على حياتنا الحالية والمستقبلية معاً. ويظهر ذلك واضحاً جلياً على مستوى الأمم والدول، لأنه إذا إتخذ مسئول ما في بلد معين قراراً، وكان هذا القرار لا يتسم بالدقة أو العقلانية، فإن آثاره لن تؤثر فقط على حياة الأفراد الحاليين في ذلك البلد، إنما ستمتد آثاره على حياة الأجيال القادمة أيضاً. إننا نفاجأ

يوميًا بمشكلات كان من الممكن جدا تفاديا وعدم وقوعها، لو أن أولئك الذين إتخذوا قرارًا ما في الماضي، فكروا في النتائج المنطقية المتوقعة لمثل ذلك القرار.

وتتطلب المهارة في اتخاذ القرارات الحكيمة «الصادقة في توقعاتها»، دقة وتمحيصًا في دراسة النتائج المعقدة والصعبة، التي يمكن أن تكون نتيجة طبيعية لهذه القرارات. كما تتطلب المهارة في حل المشكلات التي تأخذ النتائج بعين الاعتبار، فحصًا لكل العلاقات المحتملة ذات الارتباط بتلك القرارات، وبذا يستطيع الفرد إستباق الأحداث وإختيار الحلول المناسبة لجميع الأطراف المعنية.

حقيقة، إن تنبأ الإنسان ببتائج وعواقب قراراته بشكل دقيق يبدو صعبًا، وأحيانًا يبدو مستحيلًا بعيد المنال، ولكن رغم ذلك، يمكن للإنسان إدراك بعض عواقب تلك القرارات وأخطارها على كل ما سيكون عرضة للتأثر بها من أشياء. إن القدرة على الحدس وإستباق الأحداث يمكن إعتبارها واحدة من أهم المهارات الخطيرة في عصرنا الحاضر، والدليل أننا لو كان بإمكاننا أن (نحدس) ببتائج قراراتنا قبل عشرة أعوام أو عشرين عامًا، كنا تجنبنا بعض المشكلات الشائكة والصعوبات الخطيرة التي نواجهها في أيامنا هذه.

إن ممارسة جميع المهارات التي سبق الإشارة إليها؛ ينبغي أن تشكل خيطًا متصلًا لا ينقطع طيلة فترة الدراسة. والجدير بالذكر، يجب ألا نكتفي لتحقيق ما تقدم بمادة الرياضيات التي تفيد في الإرتقاء بأساليب التفكير وحل المشكلات، وإنما يجب -بجانب الرياضيات- برمجة بعض المناهج الأخرى بهدف خدمة هذه المهارات، إذ أن المنهج المتواصل الذي يدرس على مختلف المراحل الدراسية يمكن أن يسهم في إكساب الطلاب هذه المهارات من ناحية، والإرتقاء بما لديهم منها من ناحية أخرى، بشرط أن يقوم المدرسون -في جميع مراحل التعليم المختلفة- بمباشرة طرح الأسئلة ومطالبة الطلاب بالقيام بعمليات: التصنيف، والتدريب، وبحث المشكلات، وإجراء التجارب، وغير ذلك من الأمور والعمليات التي تكسب الطلاب بالفعل مهارات التفكير والإبتكار والإبداع.

في ضوء الحديث آنف الذكر، يجب بناء المنهج على بعض العناصر القديمة والجديدة في نسق متكامل، إذ ينبغي أن يحتوى المنهج على بعض العناصر القديمة ذات الأهمية، والتي حدثت عبر العقب التاريخية المتلاحقة. كما يجب أن يشمل النواحي الثقافية النابعة من صميم الحياة المعاصرة، التي تتضمن مختلف النواحي الإنسانية المنبثقة من الواقع الاجتماعي. إن وضع المنهج بصورته الحديثة المعاصرة يسهم في خلق وإبداع الأمور التالية:

- إطار اجتماعي وأخلاقي جديد، له أسسه وأهدافه .
- مفهوم جديد للطبيعة الإنسانية، يقوم على المعرفتين: النفسية والاجتماعية، ويتضمن النظرة العميقة الثاقبة للعلاقات الشخصية والاجتماعية .
- طرق ووسائل جديدة لفض المنازعات التي قد تنشأ بين الجماعات، بدلا من المفاهيم القسرية الزجرية التي لا نفع منها ولا طائل .
- أساليب تفكير عملية جديدة لوضع الحلول المناسبة لبعض المشكلات والمتغيرات السياسية والاقتصادية وما شابه ذلك، بدلا من المفاهيم والعادات القديمة التي باتت لا تناسب العصر .

تأسيساً على ما تقدم، ينبغى التنويه إلى أهمية وضرورة التوصية التالية:

التشديد على تعليم الطلاب أساليب التفكير الصحيح، والتدليل السليم، والطرق المبتكرة في حل المشكلات، وممارسة التعليم الذاتي بشكل منتظم .

ويمكن تحقيق التوصية السابقة، من خلال تحقيق المتابعات التالية: ينبغى، في المرحلة الابتدائية، توفير الفرص لتدريب التلاميذ على مشاريع مستقلة كممارسة القراءة الصامتة، بشرط أن يختار التلاميذ موضوعات القراءة بأنفسهم . أيضاً، يمكن استخدام طريقة التعيينات (التعهدات) لتنمية روح الاستقلال لدى تلاميذ هذه المرحلة، وتقع على عاتق المناهج مسئولية إمداد التلاميذ بالمهارات الجديدة المساعدة في إجراء الأبحاث العلمية، وتنفيذ الأعمال بالاعتماد على أنفسهم، وذلك كلما تقدموا في مراحل التعليم . ومن أهم هذه المهارات مهارات استعمال المكتبة وطرح الأسئلة والتلخيص والتقييم، والعمل في جماعات: صغيرة وكبيرة . كما يقتضى التقدم في مراحل التعليم: الإعدادى والثانوى، تخصيص فترات زمنية طويلة ليمارس الطلاب العمل المستقل الموجه توجيهاً ذاتياً، وذلك يستلزم بالضرورة وجود المناهج التعليمية الهادفة لتقديم العون والتوجيه التدريجى للطلاب، بهدف تطوير المهارات الذاتية التي ستخدم عملية التعلم المستمر على مدى الحياة، بشرط أن يرافق ذلك نوع من المراقبة والتقييم المستمرين من ناحية المعلمين .

أيضاً، يجب أن يهيئ المنهج الدراسى للطلاب الفرص والمناسبات العديدة ليمارسوا أسلوب حل المشكلات، وليفكروا تفكيراً علمياً موضوعياً مستقلاً، على أن تكون هذه الفرص والمناسبات في صلب المنهج نفسه وبأشكال مختلفة، وذلك مثل: الألعاب السحرية، والفوازير . والمشكلات، والأحاجى . كذا، التدريب على توجيه الأسئلة المفيدة في خدمة البحث العلمى، والإستفادة من الأفكار البارعة، وإستخدام القياس، وغير ذلك من الأمور المهمة .

وفي المقابل، يجب أن تبذل المدرسة جهداً جباراً منظماً مستمراً لتطوير أنماط تفكير الطلاب نحو الأفضل حتى يستطيعوا أن يعيشوا عالم الغد بكل ما قد يحتويه من تعقيدات تتطلب القدرة على التفكير، والتدليل، والتعامل مع المشكلات بأساليب مبتكرة قادرة على تأمين الحياة الحرة الكريمة لكافة الأفراد.

ورغم أن المدرسة لا يجوز النظر إليها على أساس أنها نهاية المطاف بالنسبة للعملية التعليمية، فإنها تستطيع أن يكون لها يد المبادرة وزمام المبادرة في مهمة توفير المعرفة، والمهارات الضرورية، لإعداد الطلاب للحياة الحاضرة في عالم متغير شديد التعقيد، مثقل بالمشكلات، ولإعدادهم للحياة المستقبلية التي لا يعرفون عنها الكثير.

في ضوء ما تقدم، يجب أن تنعكس التغيرات، التي تلم بالعالم من حولنا، والتي تحدث في جميع المجالات والبيئات، في صياغة منهج تعليمي معاصر جديد، وذلك يعني أن المنهج الجديد يجب أن ينظر بعين الاعتبار لتلك التغيرات، ويمد الطلاب بالمعارف التي تعدهم للحياة في عالم اليوم وفي عالم الغد، بشرط أن يبرز أهمية العمل المشترك، والانفتاح، وإحترام الناس بعضهم البعض، وغير ذلك من الأمور التي تعد من أساسيات بناء أية خطة عمل لحياة ناجحة في المستقبل.

وحتى تحقق المدرسة كل ما تقدم، بشكل يفي ويحقق الغرض المرجو بدرجة كبيرة، يجب أن تبشر المدرسة مهمة تخطيطية بعيدة المدى، كما يجب أن تعقد العزم على تقديم الأفكار والمهارات الجديدة بتأن وهودة، وبشكل تدريجي، منتظم غير مفاجئ، وعلى أساس علمي دون تعجل أو إستعجال، إذ أن التغيير المأمول أو المنشود لا يمكن بأي حال من الأحوال أن يتحقق بسرعة، حتى وإن كان ذلك التغيير قابل للتخطيط والتطوير، وبذلك تكون الأفكار والمهارات التي هي وليدة ذلك التغيير، صالحة للإستعمال بعد عشر سنوات من الآن، شأن صلاحيتها للإستعمال في الوقت الحاضر (٢٣).

وبعد الاستعراض السابق لدور المنهج التربوي المهم في إدارة التفكير السليم لمواجهة تحديات العصر، يجدر التنويه إلى أن موضوع التفكير نفسه كان يمثل الشغل الشاغل للعاملين في مجال المناهج، منذ عشرينيات القرن العشرين، إذ تمثل الحركة الكبرى الثانية لإحداث تحسينات في المنهج، في الجهد الكبير لتحسين التفكير، حيث بدأت محاولة تحقيق هذا الهدف منذ سنة ١٩٢٤، عندما حاول رجال التربية التقدمية آنذاك، متأثرين بكتابات وأفكار (جون ديوي)، القيام بتدريس مهارات التفكير من خلال طريقة المشروع. أيضاً، حدث إهتمام في الستينيات بالولايات المتحدة الأمريكية بتعليم

الموهوبين، حيث عكس هذا الاهتمام إستعادة الاهتمام بتدريس التفكير. كذلك، أشار تقرير لجنة التعليم في الولايات المتحدة (Education Commission of The States, 1982)، إلى أن الأساسيات الجديدة في أى عمر معرفى تأخذ في إعتباراتها توظيف المعرفة ومهارات التفكير، لذا حددت هذه اللجنة ضمن ما حددت التفكير النقدي، كأحد المهارات الأساسية والضرورية في المنهج.

وإستمرارا لمحاولة تحسين المنهج، قدم (بريسايس 1984 Presseisen) تصوراً محدداً، في شكل هرم ذى مستويات ثلاثة، ويشتمل المستوى الأول على خمس عمليات أساسية: السببية، التحويلية، العلاقية، التصنيفية، والتوصيفية، أما المستوى الثاني فيشتمل على عمليات معقدة تتكامل مع العمليات الأساسية، وهى: حل المشكلة وصنع القرار والتفكير الناقد والتفكير الإبتكارى، أما المستوى الأعلى فهو مستوى ما وراء الإدراك Metacognition والذي يحدد أداء الفرد واختياره وفهمه للاستراتيجية المناسبة.

وإذا نحينا جانباً تفصيلات الأعمال أو التوصيت التي تحققت عن طريق (سامون 1980 Simon)، (فردريكسن 1984 Frederiksen)، (جونسون Johnson, 1984)، (إدوارد ديبونو Edward de Bono, 1984) فإننا نتفق مع وجهة نظر (كويان)، التي مفادها: «إذا كان التفكير هو مجموعة من العمليات المهمة، فحينئذ يمكن لهذه العمليات أن تدرس في شكل مقررات تفكير منفصلة، أما إذا كان التفكير هو محدد المادة فإنه يدرس بشكل أفضل في سياق هذه المادة». أيضاً، نقر التوصية التي تقدم بها (باير 1984 Bayer)، وهى: «التعليم المتدرج في مهارات التفكير فى المنهج وفى كل الصفوف». بمعنى، أننا نوافق على توصيته بأن البرنامج فى التفكير المبنى على المادة الدراسية، يجب أن يشتمل فى المرحلة الابتدائية على أشكال مبسطة من مهارات: الاسترجاع، الفهم، التصنيف، المقارنة، المقابلة. أما عند مستوى المدرسة المتوسطة، يجب أن يقدم المنهج مهارات إصدار الأحكام، ومهارات صنع القرارات المبسطة، ومهارات التفكير الناقد وتكوين المفاهيم.

وبعامة، عندما يتم تطوير المواد التعليمية، تأسيساً على المادة العلمية ذاتها، وتركيزاً على العمليات العامة (حل المشكلات، توظيف المعلومات، الاستنتاج، التقويم، تحليل الرسائل الإقناعية، التمكن من الاستقصاء، إتخاذ إختيارات أخلاقية، إستخدام التفكير فى عمل إختبارات حياتية خاصة بالكليات والمهين)، يمكن إنتاج سلسلة متدرجة من الوحدات، التي من المحتمل أن تُستخدم، وإن كان يقصها التدقيق المهني.

وبتحقيق ما تقدم، يمكن الإهتمام بمهارات تفكير بعينها، لم يسبق تحديدها أو تضمينها ضمن المهارات السابقة، وبذا يمكن وضع قائمة شاملة لمهارات التفكير، وتحديد مهارات التفكير التي يجب تدريسها، وإقرار ما إذا كان يمكن تدريس مهارات بعينها بشكل أفضل في درس متكامل (وهو درس تمثل فيه المهارة أو المفهوم الهدف الرئيس، وتدرس مهارة التفكير أثناء هذه المهارة أو المفهوم)، أو في درس متمركز (وهو درس تمثل فيه مهارة التفكير الهدف الرئيس لذلك الدرس).

ومن أهم مهارات التفكير في المواد الدراسية، نذكر ما يلي:

- البحث عن المشكلات وتحديدها.
- تمثيل المشكلات في نظام رمزي مناسب.
- تنظيم الحقائق والمفاهيم بطريقة منظمة.
- التوصل لنتيجة من معلومات سابقة.
- تحديد وتقويم المصادر.
- تركيب المعلومات للوصول إلى نتيجة.
- التمييز بين الملاحظات، والفروض، والاستنتاجات.
- التصنيف بطريقة منطقية.
- عمل توقعات.
- تفسير المادة غير الكتابية.
- تحديد الرسائل الإقناعية والفنيات.
- تطبيق العمليات المنطقية للرفض، الإنفعال، الاندماج.
- عمل واستخدام القياسات.
- تحديد الأسباب المحتملة.
- شرح العلاقات بين السبب والنتيجة.
- تحاشي استخدام اللغة المضلل.
- تحاشي الأخطاء الإحصائية<sup>(٢٤)</sup>.

وبعد أن أبرزنا الدور المهم للمنهج في إدارة التفكير السليم، سواء أكان ذلك من ناحية إنمائه أو تعليمه، يكون من الضروري الإجابة عن السؤال المهم التالي:

أين يكمن التحدي الحقيقي للمنهج في عصر العولمة بالنسبة لإدارة التفكير؟

إن التحديات الخاصة بإدارة التفكير، والتي يواجهها المنهج في عصر العولمة، متعددة ومتنوعة، لذا فإن ما نذكره فيما يلي يمثل بعض نماذج هذه التحديات، وليست جميعها:

(أ) لقد تغيرت أشياء كثيرة، كما ظهرت واختفت أشياء أخرى، نتيجة التغير في الوضع الاقتصادي. «ومازالت سرعة التغير غير المستقرة ومقاومة هذا التغير من قبل قطاعات في المجتمع والمشكلات المؤرقة للعالم النامي، كل هذه القضايا تقوم بحفز الفكر التنموي. وتعتبر كل إنتكاسة في التنمية حجة واضحة جديدة تدحض فكرة الحلول الرادعة لمشكلة التخلف، وعند حدوث أى أزمة جديدة، تكون هناك مناسبة لإثارة الشكوك وإطلاق التحفظات حول المطالب المعقدة للتنمية»<sup>(٢٥)</sup>.

ولما كان التعليم عملية إستثمارية، تستخدم المناهج كأدوات لتحقيق التنمية البشرية، فإنه في وضع التذبذب في الأوضاع الاقتصادية، وعدم إستقرارها في البلاد النامية، ينعكس أثر ذلك سلباً على بناء المناهج، من حيث وجهة النظر الاقتصادية التي ينبغي أن تتبناها أو تبشر بها. بمعنى؛ عندما تكون الأمور الاقتصادية غير مستقرة، فذلك يضع المسئولين عن بناء المناهج وعن تدريسها، في وضع حرج للغاية، وفي موقف شائك بالفعل. ويكون الشغل الشاغل لهؤلاء الأفراد، هو تبرير ما يقومون به، من حيث البناء المنهجي، أو التعليم المدرسي. وبالتالي تنسحب إدارة التفكير السليم من مجال إهتماماتهم، وذلك يمثل أحد التحديات الحقيقية للمنهج، في عصر لا ترحم ظروفه المادية الإنسان، ولا تغير للإنسانيات أدنى اهتمام.

(ب) «لايوجد خلاف حول المبدأ البشرى الضعيف: قم بتغيير قوانين الطبيعة وثوابتها، إن استطعت، وعندئذ سيظهر كون مختلف تماماً -كون لا ينسجم، في حالات عدة- مع الحياة. إن مجرد حقيقة وجودنا تقتضى ضمناً (ولكنها لا تفرض) قيوداً على قوانين الطبيعة»<sup>(٢٦)</sup>.

إن حقيقة الوجود من المسائل الشائكة، وبخاصة إذا ربطنا هذه الحقيقة بقوانين الطبيعة. ومن الصعب جداً، أن تتضمن المناهج في الدول التي تنتشر فيها الأمية الأبجدية، هذا الموضوع، حتى وإن كان الهدف علمياً سامياً، وبفرض تأكيد الذات الإلهية، خشية أن يثير هذا الموضوع بلبلة في نفوس وفكر المتعلمين، مما يؤثر سلباً على تفكيرهم.

والحقيقة أن هناك العديد من القضايا العلمية البحتة، والتي حسمت في الدول المتقدمة، مازالت تمثل بالنسبة للمناهج مناطق حارقة وملتهبة، وينبغي عدم

الاقتراب منها والابتعاد عنها. وبالتالي، فإن إدارة التفكير السليم بالنسبة لهذه الموضوعات، تصبح أملاً بعيد المنال، يصعب تحقيقه عن طريق المناهج التربوية. (ج) إن المرجع الأول للمشكلات البيئية، التي ابتليت بها البشرية في وقتنا الحالي، تعود بالدرجة الأولى إلى منتجات العلم والتكنولوجيا<sup>(٢٧)</sup>. لذا نجد الآن توجهاً غريباً، يتباه -للأسف- مجموعة من أنصاف المتعلمين وأشبه المثقفين. ويقوم هذا التوجه على أساس العودة إلى مجتمع الصيد والزراعة، وما يتبع ذلك من تغيير في طبيعة المؤسسات وفي أنماط السلوك البشري<sup>(٢٨)</sup>.

ولكى تواجه المناهج الوضع السابق، عليها أن تبرر السبب الحقيقي لتدمير البيئة، رغم ما أعطته للبشر من أسباب للحياة، يتمثل في «أننا أصبحنا أقوياء دون أن نصبح، وبدرجة مساوية حكماء. إن قوى تغيير العالم التي وضعتها التكنولوجيا بين أيدينا الآن تتطلب درجة من الدراسة والتبصر لم تكن مطلوبة منا من قبل»<sup>(٢٩)</sup>، أى يتطلب أن يكون للمنهج دوره الفاعل في إدارة تفكير المتعلمين والمثقفين، فما بالنا إذا كانت الغاية النهائية للمناهج في وقتنا الحالي، هو التحصيل، و فقط التحصيل.

(د) إذا كان العلم والتكنولوجيا لهما دورهما في تقدم الشعوب وفي صنع حضاراتها، فإن الفن والأدب والموسيقى تمثل المرأة التي تعكس حضارة الشعوب. وإذا أخذنا في الاعتبار، الأدوات التي تسهم في صنع المستقبل الأفضل، لوجدنا أن «الأداة الثقافية، والتي يشترك في صياغتها وتوظيفها كل ما يندرج تحت مسميات المؤسسات التعليمية والإعلامية والثقافية»، لها دورها المهم الذي لا يقل في قيمته عن أدوار وفاعليات الإدارة الاقتصادية والإدارة السياسية<sup>(٣٠)</sup>.

ومن منطلق أن الفكر والجر الثقافي ينبغي أن يتوائما مع العصر، وأن يعيشا في سلام مع العالم الجديد، نستطيع أن ندرك بسهولة مدى معاناة المنهج، بسبب المناخ المعنوي السائد الآن، والذي يقوم على أساس التفكير الأحادي، ويرفض التفكير المركب، وبذا تنقلب القضية إلى «إما مع أو ضد»، وهذا يمثل مأساة حقيقية، وخاصة أن فريق الديناميات يرفضون كل ثقافة جديدة، حتى وإن كانت قومية، ويشرون في الوقت نفسه بـماضي عتيق قد لا يكون من صنعنا.

### ثانياً: تعليم التفكير كأحد مهام المنهج الأساسية في عصر العولمة:

ذكر عالم الاجتماع الإنجليزي أنطوني جيدنجز في كتابه (نتائج الحداثة) أن مفهوم التقدم وصلاحيته يقوم على مجموعة من الدعائم، هي: «العقلانية والفردية والوضعية في ممارسة البحث العلمي الاجتماعي، والاعتماد على العلم والتكنولوجيا لإشباع الحاجات

الأساسية للجماهير، وتبني نظرة خطية Linear للتقدم الإنساني على أساس أن التاريخ يتقدم من مرحلة إلى أخرى».

وبعد الحرب العالمية الثانية وجه النقد للمفهوم السابق، على أساس أن النتيجة المباشرة لهذه الحرب كانت تدمير عشرات المدن العامرة، ومصرع ملايين البشر، وبالتالي إنتفت فكرة التقدم تاريخياً، وظهر مفهوم التنمية. ولكن بسبب إنقسام العالم بعد الحرب العالمية الثانية إلى كتلتين أو معسكرين، أحدهما غربى والآخر شرقى، ظهر مفهومان للتنمية، أحدهما رأسمالى والآخر إشتراكى، وأصبح لكل منهما منظوره للتأثير والتوجيه. ويإنهيار المعسكر الشرقى، وانتهاء الصراع بين الرأسمالية والشيوعية.

فى بدايات القرن الحادى والعشرين، «بزغت نظرية سياسية واقتصادية واجتماعية جديدة على مستوى العالم، تنطلق من مبدأ فلسفى مؤداه أن الحقيقة نسبية وليست مطلقة...»

وفى عصر ما بعد الحداثة، هناك نزوع قوى إلى قبول المزج بين النماذج الاقتصادية المتباينة فى إطار تركيب جديد، يتيح الفرصة للفرد، باعتباره فرداً لا إطلاق عقال ملكاته ومراهبه فى إطار من الخدمات الأساسية التى تقدمها الدولة فى مجالات التعليم والصحة، ويسمح للمجتمع أيضاً أن ينشئ من المؤسسات الاقتصادية والاجتماعية ما يحقق المصلحة العامة، حتى لو تعارض ذلك مع بعض المصالح الفردية الضيقة».

ونتيجة لما تقدم ظهرت «حركة (الطريق الثالث)، التى تسعى للتأليف الخلاق بين حركية الرأسمالية واطلاق العنان للحافز الفردى، ولكن مع مراعاة اعتبارات العدالة الاجتماعية فى نفس الوقت».

ولقد أدى ما تقدم إلى إعادة النظر فى مفاهيم التنمية ذاتها، وخاصة بعد «توسيع الخيارات أمام الناس فى فرص الحياة، وتقديم بدائل متعددة، تسمح لكل فرد -وفق تعليمه ومؤهلاته وقدراته وإمكانياته- أن يحقق ذاته فى إطار تحقق تكافؤ الفرص ما أمكن ذلك».

فى ضوء ما تقدم، ظهر مفهوم التقدم مرة أخرى، على أن «المؤشرات الكمية والكيفية للتنمية مهما بلغت دقتها، لا تصلح لقياس التحسن فى الوضع الإنسانى». ومن هنا أصبحت الحاجة ماسة إلى ابتداء مؤشرات جديدة كمية ونوعية لقياس التقدم فى الوضع الإنسانى، تتمثل فى الفرد والأسرة والمجتمعات المحلية، مع الأخذ فى الاعتبار الجوانب المادية والروحية على السواء<sup>(٣١)</sup>.

فى ضوء الاستطراد الطويل السابق، نقول أن الإنسان بات الآن محور الاهتمام، إذ تتركز حوله السبل التى يستطيع عن طريقها أن يحقق ذاته، بشرط أن يساعده فى ذلك تعليمه ومؤهلاته وقدراته وإمكاناته .

من هنا، يمكن القول بدرجة كبيرة من الثقة أن قدرات الإنسان الإبداعية والإبتكارية، لها دورها المهم فى تحقيق ذاتية الإنسان الحر، وذلك يتوافق مع سمات الإنسان الجديد فى عصر العولمة، الذى أصبح له الحق الكامل فى التعبير عن أفكاره وآرائه ومشاعره ونظراته - ليس إلى المجتمع الذى يعيش فيه فقط، بل إلى الإنسانية جمعاء- بالصورة التى يراها مناسبة وكفيلة بتوصيل فكره ومكونات نفسه للآخرين .

والحقيقة، «فى خضم تطورات العصر الجديد الذى نعيشه . . عصر ثورة المعلومات . . وثورة التكنولوجيا . . وثورة الاتصالات . . وأيضاً ما يسمى بثورة التطلعات . . هذا التطور الذى يتسم بأن ما كان يتطلب آلاف أو مئات السنين لإحداث التغيرات العميقة فى المجتمعات البشرية لم يعد يتطلب أكثر من عشرات السنين . وما تفرضه هذه التغيرات السريعة على إنسان العصر من صعوبات بالغة . . أضف إلى ذلك الظاهرة الجديدة التى يسمونها الآن بظاهرة المواطن العالمى الذى تشغله نفس الاهتمامات ويخضع لنفس المؤثرات بعد أن بدأت الحواجز والقيود بين المجتمعات فى الزوال وتكاد الحدود السياسية والإقليمية والاقتصادية تتوارى . وما استتبع ذلك من تأثيرات تأثرت بها معظم . . بل كل المجتمعات فى أرجاء المعمورة»<sup>(٣٢)</sup>، يكون من المهم بمكانة رعاية المبدعين والمبتكرين، لأنهم وحدهم، ودون غيرهم، الذين يستطيعون فهم طبيعة التغيرات والتغييرات الذى أفرزها عصر العولمة، ويعلنون عنها، ويتفاعلون معها، ويضيفون إليها، ويستخدموها فى مصلحة البشر، من خلال أعمال ذكية، متميزة، تقدمية، غير نمطية، عصرية .

والسؤال :

إذا كان التقدم الإنسانى والمادى يعتمد على التفكير والإبداع، على أساس أنهما يمثلان آلية عصر العولمة الفاعلة، فما علاقتهما بالحرية؟!

يقدم لنا جابر هصفور إجابة رائعة عن السؤال السابق، فيقول<sup>(٣٣)</sup>:

إن حرية التفكير والإبداع هى جزء لا يتجزأ من حرية الإنسان الاعتقادية والسياسية والاجتماعية . وهى مسؤولية عقلية ودينية وأخلاقية واجتماعية وسياسية . مسؤولة عقلية لكل من يرى فى الابتكار والابتداع - لا التقليد والاتباع - سبيلاً لوعود المستقبل لا وعيده، ولكل من لا يعرف بداية للابتكار أو الابتداع إلا بوضع العقل بكل مدركاتة

موضع المساءلة. والمسؤولية العقلية للحرية التزام باحترام العقل الذي يرفض الخرافة، ولا يقبل التقليد، ولا يسلم قياده إلا إلى الرغبة المتلهبة في اكتساب المزيد من معرفة كل ما يظل في حاجة دائمة إلى الكشف، وكل ما لا يقنع بالإجابة السهلة أو الحلول الجاهزة، ولذلك فهي مسؤولية احترام الاجتهاد، والقبول بحتمية تعدده، وتباين مساراته ومناهجه وأساليبه وأدواته ونسبية نتائجه، ومن ثم النظر إلى حق الاختلاف في الفكر وحق التجريب في الإبداع، بوصفهما شرطا للإضافة الكيفية التي يفتنى بها معنى التقدم في التاريخ وبالتاريخ.

وحرية التفكير والإبداع مسؤولية دينية لكل من يؤمن بالأديان السماوية التي لاتعرف معنى للثواب أو العقاب إلا على أساس من التسليم بحرية الإنسان في اختياره الاعتقادي الذي يمارس به مسؤوليته الخاصة، ويتحمل نتائجه في اختلافه عن بقية أفراد مجتمعه، أو اختلافه مع حراس هذا المجتمع، فيحدد باختياره مصيره في الحياة الدنيا والآخرة. والمسؤولية الدينية للحرية هي الوجه الآخر من المسؤولية الأخلاقية، خصوصاً في الدائرة التي يفرض بها الالتزام بالحرية نفسه على كل من يؤمن بدوره في الارتقاء بالإنسان وتخليصه من وهاد الضرورة وشروطها اللا أخلاقية، وممارسة هذا الدور في شجاعة وإصرار، حتى لو اصطدم بأخلاق الضرورة السائدة.

وحرية التفكير والإبداع مسؤولية اجتماعية لكل ساع إلى الانفتاح بمجتمعه على الدنيا الواسعة، مؤكدا مبدأ التنوع الخلاق في مجتمعه، متسعا بمبدأ الحوار بين الطوائف والفئات والتيارات، مؤصلا قيم التسامح الاجتماعي التي تؤسس لقبول المغايرة وحق ممارسة الاختلاف، كما تسهم في إشاعة حقوق المساواة التي تنقض كل ألوان التمييز العرقي أو الجنسي أو الطائفي أو الطبقي أو الاعتقادي. والوجه الاجتماعي من مسؤولية الحرية هو اللازمة المنطقية لوجهها السياسي، خصوصاً في وعى كل من يري في التسلط السياسي والديكتاتورية الحزبية شكلا من أشكال الضرورة، وعقبة إنسانية لأبد من مجاوزتها، تحقيقا لقيم المشاركة والتعددية، وتأكيداً لحضور معاني الاستقلال لا التبعية التي هي الوجه الآخر من الاتباع.

وأخيراً، فالحرية مسؤولية إبداعية ما ظل المبدع حالمًا بأن يكون الذي لم يكنه، أو يكتب الذي لم يكتبه، فحريته شرط استقلاله الذي لا يجعل منه صورة مكررة أو نسخة كربونية أو محاكاة لإبداعات سابقة، صنعها هو أو صنعها غيره. وأولى علامات الحرية الإبداعية هي المجاوزة المستمرة، والمراجعة الدائمة لتقنيات الإبداع وأدوات إنتاجه وعلاقات إنتاجه، فضلا عن علاقات استقباله، وذلك بما يضع كل ما يدخل في دائرة

الإبداع موضع المساءلة الدائمة المستمرة التي لا تتوقف عند حد، فالإبداع مساءلة حرة، غير مشروطة إلا بأهداف الإبداع الذاتية، وهي الارتقاء الدائم بالإنسان، والتمكين له في عالم الابتكار الخلاق الذي يصنعه الإنسان على عينه. ولذلك فالإبداع تمرد على الضرورة بالحرية، احتجاج على الظلم بحلم العدل، رفض للتخلف برؤيا التقدم، نبذ للثابت بالإبحار في المتغير، استبدال للنسبي بالمطلق، المتحرك بالساكن، السؤال بالجواب، الشك بالتصديق، مساءلة الذات التي تنقسم على نفسها لتغدو فاعلا للإبداع وموضوعا له، ولا حرية في الإبداع لمن لا يعرف تشوير أدوات توصيله، أو يقنع بتقبل تقنيات الفنون والآن تقبل المدعن التابع».

ويتفق السيد يسين مع جابر عصفور في أن مقياس الحرية الثقافية هو «المؤشر الذي يبرز ما إذا كان مجتمع ما يحترم ويسمح لحرية التفكير والتعبير أن تأخذ مداها، (إذ) إن مؤشرات الإبداع تظهر ما إذا كان المجتمع يشجع بطريقة فعالة الناس لكي يعبروا عن أنفسهم بطريقة إبداعية وتجديدية، وبالتالي يسهمون في تقدم المجتمع... غير أنه من الأهمية بمكان أن نلتفت إلى أن الإبداع ظاهرة معقدة وليست وحيدة البعد. ذلك أن النواتج الإبداعية قد تكون اجتماعية مثلما قد تكون فردية، فالإبداع يمكن أن يكون ظاهرة جماعية، بالإضافة إلى كونه ظاهرة فردية»<sup>(٣٤)</sup>.

وعندما نتحدث عن دور التربية والتعليم في إعداد الإنسان الجديد، الذي يمتلك قدرات إبداعية وإبتكارية، نقول:

إن النظام التعليمي في مصر يكفل حق كل إنسان في التعليم، وذلك حسب ما جاء في الدستور. وإذا كان هذا المبدأ في فحواه إنسانياً بالدرجة الأولى، وعلى طول الخط، فإن بعض نتائجه يمكن أن تكون غير إنسانية تماماً، إذ في زحمة الأحداث التي يسببها الكم الرهيب من أعداد المتعلمين، يمكن أن يتساقط على الطريق عشرات من الموهوبين، الذين يمتلكون قدرات إبداعية وإبتكارية عالية ورفيعة المستوى، والذين لو تم إكتشافهم في الوقت المناسب لكان شأنهم مختلفاً وإسهاماتهم بغير حدود.

وعليه، فإن رعاية الموهوبين من ذوى القدرات الإبداعية والإبتكارية، مهمة قومية ضرورية ولازمة، وليست مجرد إستكمال لشكل عام ومظهري، وهو الإدعاء بأننا نرعى الموهوبين.

إذاً، الخطوة الأولى هي تحديد المبدعين والمبتكرين منذ نعومة أظافرهم، أي في مرحلة الحضانة، ووضعهم تحت المجهر، من بداية الطريق حتى نهايته، من خلال تجمعات خاصة بهم.

وفي هذا الصدد يقول رجب البنا الآتي:

«والموهبة يمكن أن تضيع في الزحام، ونفقدتها بالإهمال وعدم التقدير، كما يمكن أن توجه توجيهًا خاطئًا فتتحرف، ومن الممكن أيضًا اكتشافها مبكرًا، ورعايتها رعاية سليمة وتعهدًا بالصقل والتشجيع، واعطائها فرص التقدم والنمو».

أيضًا، يشير إلى «أن الدول الكبرى تقدمت لأنها أنشأت مراكز لرعاية الموهوبين، يلتحق بها الموهوبون فيجدون خبراء في التربية وفي فروع التخصص فيتولون رعايتهم رعاية شخصية وخاصة على أسس فنية وعلمية تساعدهم على النضج والإبداع»<sup>(٣٥)</sup>.

وتوجد وجهة نظر أخرى منبثقة من الفكرة السابقة، وهي:

«وإن التعليم قادر بأن ينمي هذه القدرات ويفجر الطاقات النووية في كل فرد عن طريق مركز دراسات للتأليف والبحث والترجمة يدرس الأساليب التربوية والإدارية لجعل التعليم مؤثرًا في الجوانب النفسية والاجتماعية والسلوكية للطلاب والمجتمع، ويجب أن يعطى صلاحيات واسعة في النقد والتحليل والقرار، بعد أن قبح الطلاب سنوات أسرى للصخب المعرفي والأسلوب الإداري التربوي التقليدي».

وفي الوقت نفسه لا مانع من إنشاء معاهد ومدارس يغلب عليها طابع إبداعي، مثلًا (معهد المتفوقين في الرياضيات) أو (نوادي الشعر والقصة). ولكن يتم ذلك باختيار الملحق<sup>(٣٦)</sup>.

وبالنسبة للمنهج التربوي في إعداد الإنسان الجديد، القادر على المواجهة والتحدى لظروف ومتغيرات العصر، بما يمتلكه من قدرات رفيعة المستوى، فيتمثل دوره في إكساب هذا الإنسان القدرات الإبداعية والابتكارية، في الآتي:

\* أن يبرز المنهج أن الشق المادي في أية حضارة متقدمة «هو ثمرة طبيعية للشق غير المادي (أى الثقافى) لهذه الحضارة. فقد بدأت الحضارة التي سميها البعض اليوم بالحضارة الغربية بالفكر والفنون والآداب، وعندما خلقت مناهجًا عامًا إيجابيًا وخلافًا يسمح بتفتق الإبداع أنطلق (العلم التطبيقي) في إبداعاته المتواليه»<sup>(٣٧)</sup>. ويجب ألا يقتصر دور المنهج على إبراز أهمية الجانب الثقافى فقط، بل يجب عليه تأكيد هذا الدور من خلال موضوعات ومواقف بعينها، يستطيع عن طريقها أن يكتسب المتعلم الملكات والقدرات التي تساعده في الإبداع والابتكار.

\* أن يبرز المنهج أن عناصر العمل الإبداعي والابتكاري تستمد جذورها من الأحداث التي يموج بها المجتمع، ومن المتطلبات الأساسية والضرورية للفرد، لذا فإن المبدع أو المبتكر لا يتعزل عن المجتمع، بشرط ألا يتحقق ذلك عن طريق أية ضغوط سياسية أو اقتصادية لتوجيه نشاطه الفكرى والذهنى الذى يسهم فى ظهور أعماله الإبداعية والابتكارية الرائعة.

\* أن يتضمن المنهج حيزاً واسعاً من الرياضيات وعلوم الكمبيوتر، إذ أنهما من الأساسيات التي تسهم في إنماء قدرات الإبداع والإبتكار، لما لهما من سمات وصفات مادية ومعنوية في الوقت نفسه. وفي هذا الصدد، يقول ميشيل هولبيك Michel Houellebecq - عندما سأل عن تصوره للقرن الحادى والعشرين- «يجب أن نؤقلم العقل الإنسانى على الرياضيات، أن ندخل به ربما الشرائح المبرمجة. إذ إن حقيقة العالم ذات طبيعة رياضية، ولأن القلة هم الذين يعملون لذلك حساباً، فهم فقط القادرون على فهم العالم. لا يبدو الأمر خطيراً إلا أنه كذلك. إن النجاح الذى تحققه الطوائف والشيع يزداد، بسبب العجز عن فهم الوصف الذى يقدمه العلماء عن العالم» (٣٨).

\* أيضاً، أن يتضمن المنهج عديداً من الموضوعات ذات الصبغة الفنية والفلسفية والأدبية، التي تعكس التاريخ الثقافى والتراث الفكرى، والتي تمثل القيم والسلوكيات والأخلاقيات والمثل العليا، والتي تتيح للمتعلم مساحة من حرية الانطلاق فى التخيل واستخدام أساليب التعبير التي تعتمد أساساً على التشبيهات والاستعارات والمجازات واللجوء إلى الرمزية. والحقيقة، إذا كانت الرياضيات وعلوم الكمبيوتر والعلوم الطبيعية تخاطب العقل بدرجة كبيرة، فإن الآداب والفلسفة والفنون تخاطب الأحاسيس والمشاعر، بدرجة كبيرة أيضاً، مع الأخذ فى الاعتبار أن كلاهما لا ينفصل عن الآخر، ولا تقوم لأحدهما قائمة إذا إنعزل عن الآخر، فالإنسان كل متكامل، إذ أن العقل والأحاسيس والمشاعر، تنصهر جميعاً فى بوتقة واحدة، لتكون الإنسان، وهو أعظم ما خلقه الله.

\* أن يتخلص المنهج من المواد الدراسية التي يمكن أن يكون مجالها هو تاريخ العلوم، وبالتالي يجب الاهتمام بالنوع وليس بالكم، على أن تراعى الأساسيات التي تساعد على دراسة علوم المستقبل.

\* أن يتضمن المنهج موقفاً للتقنيات التربوية الحديثة، وخاصة أن العلم والتكنولوجيا باتا الآن من مستلزمات وضروريات عصر العولمة، وأن أى منهما يسير فى ظل الآخر بطريقة متلازمة متواكبة، وإن كانت النظرية تظهر أولاً، ثم يعقب ذلك تطبيقاتها العملية. إن فهم طبيعة وظروف وتحديات العصر فى وقتنا هذا، لا يمكن تحقيقه دون العلم والتكنولوجيا، وخاصة بعد الانفجار المعلوماتى، وظهور مجتمع المعرفة.

\* أن يتم تدريس موضوعات المنهج على أسس حديثة، تقوم على أساس المبدأ القديم الجديد، وهو «أن يعلم الفرد نفسه بنفسه، وأن يصل إلى مصدر المعلومة بنفسه»، بشرط أن يتحقق المبدأ السابق بتقنيات حديثة تناسب العصر، وخاصة بعد سهولة ويسر الإتصال بين الأفراد بعضهم البعض عن طريق إنترنت.

\* أن يأخذ المنهج في إعتباره، ضرورة أن تكون للقراءة مساحة عريضة ضمن الموضوعات التي يتضمنها، لدور القراءة المهم في نمو الإبداع، إذ أنها تسهم في تنشيط العقل واستثارة الخيال<sup>(٣٩)</sup>، مع مراعاة أن القراءة لا تقتصر فقط على موضوعات اللغة العربية فقط، بل تتضمن موضوعات بعينها في جميع المواد الدراسية، بلا استثناء.

وفي ضوء الأساسيات التالية:

- على الرغم من أن لفظة التفكير، ارتبطت بعدد من الصفات، مثل: الواضح، الناقد، التأملی، الدقیق، العملي، الاستقرائي، الاستنباطی، الاستدلالي، الجانبي، المركب.. إلخ، والتي قمنا بتعريفها في الصفحات السابقة، فإن التفكير الفاعل في حد ذاته بمثابة عمليات عقلية عليا، من خلالها يستطيع الإنسان السوي، تحقيق مقاصده النبيلة المأمولة، كما يستطيع أيضاً الإنسان الجانح توظيفه في أغراضه السيئة المغرضة.

- توجد علاقة ارتباطية مركبة قوية بين توافر الظروف الحياتية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية والثقافية والبيئية.. إلخ، وبين قدرة الإنسان على التفكير السليم، الذي يقوم على أساس العقلانية والموضوعية.

- إدارة التفكير السليم، تمثل الأساس العلمي لتسيير العمل الناجح، ودرء المخاطر التي قد تحدث أو الأزمات التي قد تظهر أثناء تنفيذ العمل، لذا فإن إدارة التفكير السليم في العملية التربوية التعليمية، لها موقع الصدارة بالنسبة لاهتمام المسؤولين عن التعليم في جميع البلدان، بلا إستثناء.

- إن إدارة الأزمات في أي موقع من المواقع، تعتمد بالدرجة الأولى على إدارة التفكير السليم للعاملين في هذا الموقع. وفيما يختص بالتعليم، فإن إدارة التفكير السليم للمتعلمين، ضرورة لازمة لهم، كي يتوافقوا مع ظروف العصر وتحدياته، وكي يتعاملوا بنجاح مع متطلبات المستقبل.

نستطيع الزعم بأن موضوع التفكير من الأمور المهمة التي ينبغي أن تنال الاستحقاق الواجب واللازم في تصميم وبناء المناهج التربوية.

وجدير بالذكر، إن مهارات التفكير لها ضرورة حيوية للإنسان أيًا كان موقعه، كما أنها واجب لازم ليستطيع المتعلم إدراك العلاقات المتداخلة والمتشابكة بين المواد الدراسية بعضها البعض، فيدرك البناء التكويني لكل مادة دراسية على حدة، كما أنه يعرف الهيكل التنظيمي الذي يربط بين جميع المواد الدراسية.

- وعلى الرغم من أن مهارات التفكير ترتبط ارتباطاً مباشراً بالمواد الدراسية، فإنها تسهم في تعريف المتعلم عديداً من الأمور الحياتية المهمة، نذكر منها على سبيل المثال، وليس على سبيل الحصر، ما يلي:
- فهم الذات البشرية، سواء أكان ذلك بالنسبة للفرد المتعلم أم للآخرين.
  - تحديد أبعاد العلاقات والتعاملات مع الآخرين.
  - التكيف النفسى والاجتماعى.
  - تحديد ما يمكن أن يفعله المتعلم ويحقق فيه نجاحاً، وتحديد ما لا يستطيع إنجازه منفرداً، ويتطلب المساعدة الخارجية.
  - تحديد الاختيار المهني المستقبلى المناسب.
  - التعاون مع الآخرين فى تحليل أبعاد المشكلات المختلفة، ووضع الحلول المناسبة لها.
  - إدراك أن الإجهاد الذهني فى حل المشكلات، بصفة دورية ودائمة، قد تكون له آثار وإنعكاسات سلبية خطيرة.
  - الرضا عن الذات عند تحقيق النجاح، وعدم جلد النفس فى حالة الفشل، والبدء فى المحاولة من جديد.
- وحتى يمكن إكسات المتعلمين التفكير السليم، وتعليمه لهم، ينبغى أن يتضمن بناء وتصميم المناهج التربوية الأهداف التالية:
- ينبغى أن تتيح المناهج الفرص المناسبة أمام التلاميذ للإدراك، والتحليل، والتفسير، واكتشاف مدى واسع جديد للمعاني، إذ يتطلب التعامل مع العالم الجديد، تفسيرات وتعريفات معاصرة، تتوافق مع المعانى التى يكشفها العلم الحديث.
  - ينبغى أن تساعد المناهج التلاميذ فى إعادة تحديد واكتشاف أنفسهم، حتى يمكنهم التكيف مع الظروف والأحداث الجديدة التى تتسم بسرعة التغيير، وبخاصة فى المجال الاقتصادى الذى يشهد تقلبات اقتصادية متتالية، أفرزت وظائف جديدة تتطلب كوادراً ومدرربين لديهم المهارات التى تحتاج إليها تلك الوظائف.
  - ينبغى أن تسهم المناهج فى دفع التلاميذ إلى توجيه أسئلة ذات مغزى، وفى إتاحة الفرصة ليمارس التلاميذ الإرشاد الذاتى لأنفسهم، ولبعضهم البعض.
  - ينبغى أن لا تتمركز المناهج حول المعانى والمعارف فقط، بل يجب أن يراعى فى بنائها المسائل الجدلية والأفكار المتصارعة، التى تؤدى إلى مناقشات، تتسم بالمغزى والبناء معاً.

- ينبغي أن تتضمن المناهج المشكلات الاجتماعية الشائعة، التي يعاني منها عالم الواقع، وبذا يتحقق التعليم المناسب لحياة إنسانية صحيحة ومنتجة.
- ينبغي أن تركز المناهج على الأساليب التي تسهم في إكساب التلاميذ التفكير الناقد، ومهارات التعاون، والمعاني السامية التي تجعل التعليم أكثر ملاءمة وإنتاجية.
- ينبغي أن تحتوى الأنشطة في المناهج علي ما يساعد التلاميذ لتطبيق المعلومات بفاعلية في ضوء خبراتهم المتاحة، وأن تحتوى القصص والمفاهيم الجوهرية، التي تنمي الاتجاهات نحو حب الاستطلاع والتعجب، لأهمية ذلك في تحقيق التعلم الجيد.
- ينبغي أن تشير المناهج إلى أن حتمية التدريس للتلاميذ في المدارس، يجب أن تبقى محوراً للتطلعات الاجتماعية والتعليمية، وبخاصة أنهم يتعلمون دروساً عن الحياة ذاتها، مما يتعلمونه داخل المدرسة، ومما يشاهدونه من حولهم في المجتمع.
- ينبغي أن تبرز المناهج العلاقة الحتمية الإيجابية بين التعليم والثقافة، وذلك لأن الثقافة على الرغم من تصورهما كنظام مترابط من الاتجاهات والقيم والتعاليم، التي تؤثر في سلوكيات الأفراد، فإن التعلم ذاته يستطيع أن يسهم بإيجابية في الجوانب المختلفة للثقافة ذاتها.
- ينبغي أن تعطى المناهج إحتراماً متوازناً للثقافات المتباعدة، وتوحيداً للأفكار الديمقراطية، وإجلالاً للحقوق الإنسانية المتسامحة، وتقديراً للمسئوليات الشخصية والاجتماعية.
- ينبغي أن تقاوم المناهج الاتجاهات الاجتماعية المتخلفة أو الدونية، التي تضعف الأخلاقيات، وتشكك في الروحانيات، وتحول الفردية إلى إيثار وطمع، وتقتل في الإنسان روح التحدي، وتقلل طموحه، وتشل تفكيره التقدمي.
- ينبغي أن تراعى المناهج أهمية الفهم والبناء على أنشطة التعلم في عملية التدريس، بالتركيز على التعليل والمشاركة والتواصل.
- ينبغي أن تكسب المناهج الفكر متعدد الاتجاهات، وبخاصة أن التلاميذ يحتاجون إلى مرونة عقلية ليمشوا في عالم المتناقضات، شديد التعقيد وسريع التغير في شتى ظواهره ومظاهره وجوانبه.
- ينبغي أن تشجع المناهج على حل المشكلات من خلال مسارات تفكيرية متعددة، وبذا تحمي المتعلم من خطورة التفكير الأحادي، أو التفكير الساذج البسيط، كما تجعله يتحمل مسئولية أداء الأعمال المطلوبة منه بنفسه.

- ينبغي أن تكون المناهج تفاعلية متمركزة حول المعنى، ليكتسب التلاميذ مهارات التفكير الضرورية لمقابلة متغيرات بدايات القرن الحادى والعشرين، وحتى تتلاءم الممارسة التعليمية مع طبيعة العقل النامى، مما يؤدي إلى أفضل استغلال للطاقات الكامنة عند التلاميذ.
- ينبغي أن تهتم المناهج بخلق ثقافة تعلم، ويتوفير بيئة تعلم تعمل على ترقية الفهم والمرونة العقلية، لارتباطهما المباشر بالإنجاز والأداء اللذين تقوم عليهما الحياة الاجتماعية المسئولة عن المدرسة ذاتها.
- ينبغي أن تأخذ المناهج فى حساباتها أن التدريس من العوامل المهمة فى إحداث التغيير الناجح، لذا ينبغي النظر إلى التدريس كعلم وفن أنيأ، يسهم فى تحقيق حصاد وافر من ثقافة العلم، التى تسهم بدورها فى إكساب التفكير الحقيقى، وفى تحقيق احتمالات واعدة للعمل.
- ينبغي أن تشجع المناهج المعلمين الأكفاء الذين يدفعون العملية التعليمية إلى المزيد من التفكير المؤثر وتقدم العلم، والذين يستطيعون إحداث فروق حقيقية فى مقابلة التلاميذ لمتغيرات المستقبل، عندما يتحملون مسئولية تعليمهم والذين يقبلون بأنفسهم للترحيب بالمستقبل.
- ينبغي أن تساعد المناهج التلاميذ على النقد، والتحليل، والتفسير، واكتشاف المعانى الجديدة والحلول المبتكرة للمشكلات، وأن تساعدهم على تعلم كيفية توجيه الأسئلة ذات المغزى، وكيفية التعبير عن الأفكار الخاصة، والقدرة على التخطيط المستقبلى.
- ينبغي أن يحتل التفكير مكاناً محورياً فى المناهج، وبخاصة أن التذكر والمعارف المبنية على الحقائق، لاتمثل تعليماً حقيقياً، إذ ينبغي تأسيس التعلم كبناء للمعارف يقوم على الفهم والتفكير، وليس مجرد حفظ آلى للمعلومة.
- ينبغي أن تتزاور فى المناهج كل من: الأهداف الأكاديمية، والجانب التطبيقى للعلم فى حل المشكلات، والخبرات الحياتية للتلاميذ، بحيث تنصهر فى بوتقة واحدة، يُظهر مزيجها العلاقات المتداخلة والمتشابهة، فيما بينها.
- إن تحقيق المقاصد والغايات السابقة فى تصميم وبناء المناهج، تكون محصلته النهائية المتوقعة، إعداد المتعلم قوى العقل، الذى يقف بقدميه ثابتاً على الأرض، ورأسه فى الحساب، لأنه يسيطر على مهارات التفكير، ويستخدمها الاستخدام الأمثل<sup>(٤٠)</sup>.

## المراجع

- (1) Burden, Bobert, "How Can We Best Help Children to Become Effective Thinking And Learners?", In:  
- Burden, Bobert & Williams, Marion, **Thinking Through The Curriculum** London: Routledge, 1998, pp: 1 - 11.
- (٢) يوسف قطامي، نايفة قطامي، ميكولوجية التدريس العنفي، عمان (الأردن): دار الشروق، ٢٠٠١.
- (٣) مجدى عزيز إبراهيم، منطلقات المنهج التربوي فى مجتمع المعرفة، القاهرة: عالم الكتب، ٢٠٠٢.
- (4) Frederick, W. Danner, "Philosophy for Children Program and the Development of Critical Thinking of Gifted Elementary Students", **Dissertation Abstracts International**, V. 54 (3), Eric (865 A.), 1993.
- (٥) مجدى عزيز إبراهيم، تنظيمات حديثة للمناهج التربوية، القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، ٢٠٠٣.
- (٦) هنرى هازليت، ترجمة حامد عبد العزيز العبد، التفكير... علم وفن، القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٧٥، ص ص ١٥ - ١٦.
- (٧) إدوارد دو بونو، ترجمة إيهاب محمد، التفكير العملى، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٩، ص ١١.
- (٨) المرجع نفسه.
- (9) Brownell, William A., **Measurement of Understanding**, Forty Fifth Year Book, Part 1, The University of Chicago Press, 1946, p. 411.
- (10) Spitzer, Herbert F., **The Teaching of Arithmetic**, Second Edition, State University of Iowa, Houghton Mifflin Company, 1954, p.11.
- (١١) عباس المسيرى، العقل المتحرر، الطبعة الأولى، القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٧٣، ص ص ١٤ - ١٦.

- (١٢) طارق حجي، نقد العقل العربي .. من عيوب تفكيرنا المعاصر، القاهرة: دار المعارف، سلسلة إقرأ، العدد ٦٣٣، ١٩٩٩.
- (١٣) دنيس آدمز، ماري هام، تلخيص وعرض المركز القومي للبحوث التربوية والتنمية تصميمات جديدة للتعليم والتعلم، القاهرة: وزارة التربية والتعليم (قطاع الكتب)، ١٩٩٩، ص ص ٢٧ - ٣١.
- (١٤) محمد رءوف حامد، إدارة المعرفة: رؤية مستقبلية، القاهرة: دار المعارف، سلسلة إقرأ، العدد ٦٣٧، ١٩٩٨، ص ٩٠.
- (١٥) المرجع نفسه، ص ١٠٠.
- (١٦) فيرناندو رايمرز، نويل ساكجن، كيت وايلد، تلخيص وعرض المركز القومي للبحوث التربوية والتنمية، مواجهة تحديات العصر، القاهرة: وزارة التربية والتعليم (قطاع الكتاب)، ١٩٩٩، ص ١٨.
- (١٧) المرجع نفسه، ص ١٨.
- (١٨) شفيريف، ترجمة طارق معصراني، المعرفة العلمية كنشاط، موسكو: دار التقدم، ١٩٨٩، ص ٧٢.
- (١٩) المرجع نفسه، ص ٧٢.
- (٢٠) مصطفى فهمي إبراهيم، علوم القرن الحادي والعشرين، القاهرة: دار المعارف، سلسلة إقرأ، العدد ٦١٥، ١٩٩٨.
- (٢١) عيسى درويش، العرب وتحديات المستقبل، القاهرة: نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، يناير ٢٠٠٠، ص ١٣.
- (٢٢) ستانيسلاف كوندراشوف (بدون مترجم)، إرادة التفكير السليم، القاهرة: دار الثقافة الجديدة، ١٩٩٠، ص ٦٣.
- (٢٣) مجدى عزيز إبراهيم، دراسات فى المنهج التربوي المعاصر، الطبعة الثانية، القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، ٢٠٠٠.
- (٢٤) ألن أ. جلاتهورن، ترجمة سلام سيد أحمد سلام وآخرين، قيادة المنهج، الرياض: جامعة الملك سعود (عمادة شؤون المكتبات)، ١٩٩٥، ص ص ٤٦٢ - ٤٦٨.
- (٢٥) جين جاك سالمون (المحرر)، ترجمة محمد أحمد عبد الدايم، العلم والتكنولوجيا والتنمية: قضايا العصر الشائكة، الكويت: مؤسسة الكويت للتقدم العلمى، ١٩٩٨، ص ١٥٩.

- (٢٦) كارل ساجان، ترجمة شهرت العالم، كوكب الأرض: نقطة رقاء باهتة «روية لمستقبل الإنسان في الفضاء»، سلسلة عالم المعرفة (الكويت)، العدد ٢٥٤، فبراير ٢٠٠٠، ص ٤٥.
- (٢٧) مجدى عزيز إبراهيم، المنهج التربوي وتحديات العصر، القاهرة: عالم الكتب، ٢٠٠٢.
- (٢٨) المنهج التربوي والوعي السياسى، القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٩٨.
- (٢٩) كارل ساجان، مرجع سابق، ص ٣٢١.
- (٣٠) طارق حجى، الثقافة... أولا وأخيراً، القاهرة: دار المعارف، سلسلة إقرأ: العدد ٦٥٣، ٢٠٠٠، ص ١٠.
- (٣١) السيد ياسين، «مؤشرات التقدم»، جريدة الأهرام فى ٣١/٨/٢٠٠٠.
- (٣٢) على حفظى، «العصر الجديد... وثروة مصر والإنسان المصرى»، جريدة الأهرام فى ٥/٤/٢٠٠٠.
- (٣٣) جابر عصفور، ضد التعصب، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٠، ص ١٩ - ٢٢.
- (٣٤) السيد ياسين: «التنمية والإبداع (٢)»، جريدة الأهرام فى ١٤ / ٩ / ٢٠٠٠.
- (٣٥) رجب البنا، «مستقبل المهوبة والموهوبين»، جريدة الأهرام فى ١٦ / ٤ / ٢٠٠٠.
- (٣٦) عادل الماجد، «كلهم موهوبون»، مجلة المعرفة (السعودية)، العدد ٦٣، سبتمبر ٢٠٠٠، ص ١٦١.
- (٣٧) طارق حجى، الثقافة أولا وأخيراً، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٠، ص ٨٢.
- (٣٨) ماجدة أباطة (الترجمة)، «كيف تتصور القرن المقبل؟»، مجلة الثقافة العالمية (الكويت)، العدد ١٠٢، سبتمبر ٢٠٠٠، ص ١٨٨.
- (٣٩) مصرى عبد الحميد حنورة، الإبداع من منظور تكاملى، القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٩٧، ص ٣٧٣.
- (٤٠) مجدى عزيز إبراهيم، استراتيجيات التدريس وأساليب التعلم، القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، ٢٠٠٤.